



جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

أمراض بني إسرائيل السلوكية وسبل الوقاية منها في ضوء سورة البقرة
دراسة موضوعية

إعداد

ضرار (محمد تيسير) حسين موسى

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

2023م

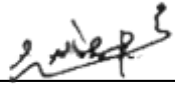
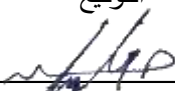
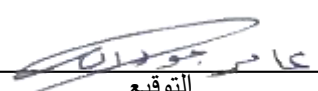
أمراض بني إسرائيل السلوكية وسبل الوقاية منها في ضوء سورة البقرة

دراسة موضوعية

إعداد

ضرار (محمد تيسير) حسين موسى

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2023/10/02م، وأجيزت:


التوقيع

التوقيع

التوقيع

د. محمد راغب الجيطان
المشرف الرئيسي
د. إسلام طزازعة
الممتحن الخارجي
د. عامر جود الله
الممتحن الداخلي

الإهداء

أهدي دراستي هذه إلى سيدي وحببي

محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من أوصاني بهم ربي أُمي وأبي

إلى من جعلهم الله سبباً في نجاحي شيخي وأساتذتي

إلى من كانوا دوماً سندي، إخوتي وأخواتي وأقاربي وجيرانني

إلى من خلقهم الله من نفسي أزواجي وأبنائي وبناتي

إلى أبناء قريتي ومدينتي ووطني

إلى من كتبه الله مسلماً

مؤمناً بالله تعالى

الباحث: ضرار "محمد تيسير" موسى

الشكر والتقدير

أشكر ربي وخالقي أولاً وأخيراً إذ وفقني لأن أكون من أصحاب العلم وأهله.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأساتذتي في كلية الشريعة ممن لهم بصمة في حياتي،

وأخص بالذكر: د. خالد علوان، و د. محسن الخالدي، و د. عودة عبد الله، و د. محمد الجيطان، و د.

غسان بدران، و د. سعيد دويكات، و د. عصام بدران، وإلى كل الهيئة التدريسية في كلية الشريعة في

جامعة النجاح الوطنية وجامعة القدس المفتوحة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة: الدكتور عامر عبد الفتاح جود الله، والدكتور إسلام

طرزاعة، على تكرمهما قبول مناقشة هذه الرسالة، والرفع من شأنها، وتصويب أخطائها.

كما وأتقدم بخالص الشكر إلى كل من يستحق الشكر.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

أمراض بني إسرائيل السلوكية وسبل الوقاية منها في ضوء سورة البقرة دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: ضرار "محمد تيسير" موسى



التوقيع:

2023/10/02

التاريخ:

فهرس المحتويات

ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	مقدمة
3	أهمية الدراسة:
3	مشكلة الدراسة:
3	أهداف الدراسة:
4	منهجية الدراسة:
7	الفصل الأول: مدخل إلى مفاهيم الدراسة
7	المبحث الأول: التعريف بسورة البقرة، والوقوف على أهم موضوعاتها العامة
7	المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة
9	المطلب الثاني: ما تميزت به سورة البقرة وفضلها
11	المطلب الثالث: الموضوعات العامة لسورة البقرة ووحدتها الموضوعية
14	المبحث الثاني: التعريف ببني إسرائيل وبيان حقهم التاريخية
14	المطلب الأول: نشأة بني إسرائيل وأقسامهم
16	المطلب الثاني: الحقب التاريخية لبني إسرائيل من منظور القرآن الكريم
21	المبحث الثالث: مفهوم الأمراض السلوكية وورودها في السياق القرآني
21	المطلب الأول: مفهوم الأمراض السلوكية
24	المطلب الثالث: مفهوم الأمراض السلوكية
24	المطلب الرابع: ورود الأمراض السلوكية في السياق القرآني
28	الفصل الثاني: أنواع أمراض بني إسرائيل السلوكية وأسبابها في ضوء سورة البقرة
28	المبحث الأول: أنواع الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل في سورة البقرة:
28	المطلب الأول: الأمراض السلوكية العقدية
38	المطلب الثاني: الأمراض السلوكية الأخلاقية
40	المطلب الثالث: الأمراض السلوكية الاجتماعية
54	المطلب الرابع: الأمراض السلوكية الاقتصادية
56	المبحث الثاني: أسباب وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية

المطلب الأول: الأسباب الدينية الأخروية	56
المطلب الثاني: الأسباب الدنيوية.....	61
الفصل الثالث: العقوبات التي ترتبت على وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية	66
المبحث الأول: العقوبات الدنيوية التي استحقها بنو إسرائيل.....	66
المطلب الأول: الصاعقة.....	66
المطلب الثاني: الرجز والعذاب والذلة والمسكنة	67
المطلب الثالث: مسخهم قردة.....	68
المطلب الرابع: أمرهم الله عز وجل بقتل أنفسهم.....	69
المبحث الثاني: العقوبات الأخروية.....	70
المطلب الأول: غضب الله عز وجل عليهم.....	70
المطلب الثاني: لعنة الله عليهم	70
المطلب الثالث: نار جهنم	71
الفصل الرابع: قواعد سبل الوقاية من الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل	73
المبحث الأول: قواعد سبل الوقاية من الأسباب الدينية لأمراض بني إسرائيل السلوكية.....	75
المبحث الثاني: تفعيل سنن الله في التعامل مع الإنسان من حيث الوجود، قاعدة للوقاية من الأسباب الدنيوية لأمراض بني إسرائيل السلوكية.....	95
الخاتمة	98
قائمة المصادر والمراجع	100
B..... Abstract	

أمراض بني إسرائيل السلوكية وسبل الوقاية منها في ضوء سورة البقرة -دراسة موضوعية

إعداد

ضرار (محمد تيسير) حسين موسى

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

الملخص

هدفت الدراسة إلى الوقوف على أمراض بني إسرائيل السلوكية والتي ذكرتها سورة البقرة، والأسباب التي جعلتهم يتلبسونها، وسبل وقاية الأمة الإسلامية من الوقوع فيها أو الانجرار خلفها، وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي في إطار سورة البقرة تنظيراً وتطبيقاً، وأحياناً من سور أخرى ذكرت بعض الأمراض فيها من باب التطبيق أو التفسير، حتى غدا عدد الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل 13 مرضاً، وعدد الأسباب 11 سبباً.

وقد قُسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، الأول منها مدخل إلى مفاهيم الدراسة، والثاني جاء فيه بسط الأمراض الدينية والدنيوية التي تلبس بها بنو إسرائيل وأسبابها، والثالث بيان سبل وقاية أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الوقوع في أمراض بني إسرائيل السلوكية.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة: أنّ عدد الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل من خلال سورة البقرة ثلاثة عشر مرضاً، وهي الكفر والشرك، وقتل الأنبياء، والتفريق بينهم، وتحريف التوراة، ونقض العهد، وتليبس الحق بالباطل، والنفاق، والظلم، والجدال، وأكل الربا، والعنصرية، وسفك الدماء، والكذب. وأن الأسباب في وقوعهم في براثن الأمراض هي: قساوة قلوبهم واتباعهم الهوى، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحب السيادة والمال والعلو والاستكبار والغرور، وسيطرة الحياة المادية عليهم.

وقد استحقوا بذلك عقوبة في الدنيا ممثلة بمسخهم قردة وخنازير، ونزول الصاعقة عليهم، وذلهم وهوانهم،

وأما في الآخرة فعقوبتهم اللعن والطرء من رحمة الله ونار جهنم.

الكلمات المفتاحية: بنو إسرائيل، الأمراض، السلوكية، العنصرية، سفك الدماء.

مقدمة

يقول سبحانه وتعالى بعد أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ:

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 286].

من نعم الله علينا أن تجاوز عنا فيما أخفت صدورنا من الظنون والآثام التي من غير الممكن السيطرة عليها،
وكلفنا ما نطيق؛ فكان السلوك هو الهدف والتصرفات هي المغزى، وقد أراد سبحانه وتعالى منا سلوكاً قوياً
على صراطه المستقيم، ونهانا عن السلوك الخاطئ الذي كان سبباً في هلاك الأقبام السابقة أو ضلالهم،
فكان هذا القرآن العظيم دستوراً ومنهاجاً لأمة الإسلام والمسلمين، ومن تلك الأقبام بني إسرائيل الذين كان
لهم حظ كبير من الآيات التي تحدثت عن سلوكهم في القصص القرآني؛ حيث إنهم نقضوا العهود والمواثيق،
وكذبوا الرسل، وقتلوا الأنبياء، وادّعوا الباطل والأكاذيب تجاه الله، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم الأسياد
على هذه الأرض، وأن باقي الأمم والشعوب ليس لها وزن، بل إنها لخدمة اليهود أسيادهم، فكان سلوكهم
على غير هدى، ولا يرضاه الرب سبحانه وتعالى.

ولأجل ذلك قامت هذه الدراسة بتتبع أمراض بني إسرائيل السلوكية؛ لما لها من أثر كبير في ضلالهم وتيههم
وغضب الرب عليهم، كما بين لنا ذلك القرآن الكريم، وكانت سورة البقرة هي ميدان الدراسة؛ حيث إنها تكلمت
في آياتها عن بني إسرائيل منذ نشأتهم مروراً بجميع أحداثهم.

ويوحي اسم سورة البقرة بالكلام عن بني إسرائيل؛ لأن قصة البقرة مرتبطة بحدث من أحداث حياتهم، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، وتعد آياتها أصولاً لآيات القرآن الكريم في عرضها للأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل، فكان اختيارها لمجال الدراسة عن الأمراض السلوكية لدى بني إسرائيل وطرق علاجها.

وقد قام الباحث باستقراء الآيات التي تكلمت عن بني إسرائيل في القرآن الكريم بأكمله، فكانت سورة البقرة هي ما تصدر الكلام عن بني إسرائيل، حيث إنّ نسبة الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل في سورة البقرة من إجمالي الآيات القرآنية التي تحدثت عنهم بلغت 20%، إضافة إلى أن قصص بني إسرائيل في سورة البقرة تكاد تكون شاملة لجميع قصصهم في القرآن الكريم.

وجاءت هذه الدراسة للكشف عن السلوك الخاطئ الذي وقع فيه بنو إسرائيل، والسبب الذي أدى إلى هذا السلوك، والأثر الذي يترتب عليه، وبيان السبل الوقائية لتلك الأمراض، والعلاج المناسب حال وقوعها، وكل هذا من باب التناصح، وحتى لا تحذو أمة الإسلام حذو اليهود والنصارى الذين ضلوا وغضب الله عليهم، ومن وقع في تلك الأمراض وجد العلاج المناسب للخروج إلى نور هذا الدين العظيم.

ولأجل ذلك وُسِّمت هذه الدراسة بعنوان: "أمراض بني إسرائيل السلوكية وسبل الوقاية منها في ضوء سورة البقرة دراسة موضوعية".

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة بما يلي:

1. لما فيها من تدبر لآيات سورة البقرة سيما تلك التي تتحدث عن أمراض بني إسرائيل.
2. تدبر آيات القرآن الكريم والتفكر فيها امتثالاً لأمر الله تعالى.
3. ظهور بعض الأمراض السلوكية التي اتصف بها بنو إسرائيل في واقع الأمة الإسلامية اليوم، فكان لا بدّ من إبراز سبل العلاج، والوقوف على طرق الوقاية منها.
4. المساهمة في توعية المجتمع الإسلامي بسبل الوقاية من أمراض بني إسرائيل السلوكية.
5. رفع المستوى الإيماني والحفاظ على سلامة العقيدة من خلال التربية الوقائية للمجتمع الإسلامي.

مشكلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس فيها وهو: ما سبل الوقاية من أمراض بني إسرائيل السلوكية في ضوء سورة البقرة؟ وينبثق منه مجموعة من الأسئلة الفرعية، هي:

1. ما الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل وذكرها القرآن الكريم في سورة البقرة؟
2. ما الأسباب التي أدت إلى وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية التي ذكرتها سورة البقرة؟
3. ما الآثار التي ترتبت على وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية؟
4. ما السبل الوقائية الواجب اتباعها حتى لا تقع الأمة الإسلامية في أمراض بني إسرائيل السلوكية؟

أهداف الدراسة:

1. تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
2. التعرف على الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل وذكرها القرآن الكريم في سورة البقرة.
3. معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية من خلال سورة البقرة.
4. معرفة الآثار التي ترتبت على وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية.

5. توضيح السبل الوقائية الواجب اتباعها حتى لا تقع الأمة الإسلامية في أمراض بني إسرائيل السلوكية.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الآيات التي تحدثت عن أمراض بني إسرائيل السلوكية في سورة البقرة

على وجه الخصوص، والقرآن الكريم على وجه العموم.

2. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الآيات التي تحدثت عن الأمراض السلوكية لبني إسرائيل، من خلال

الوقوف على أقوال المفسرين ومن صنف في القصص القرآني؛ للوقوف على أسباب تلك الأمراض وسبل

الوقاية منها.

الدراسات السابقة:

1. طبائع اليهود من خلال القرآن الكريم والتوراة دراسة وصفية مقارنة، رسالة ماجستير للباحثة آمنة عبد

الله محمد تكتوك، 2013م، جامعة أم درمان الإسلامية¹.

تناولت الباحثة طبائع اليهود من خلال القرآن الكريم والتوراة، وتضمنت الدراسة حياة موسى عليه السلام، قبل

الرسالة وبعدها، وما لقيه من قومه بن إسرائيل، كما تضمنت عقائد اليهود في الألوهية، والنبوة، والملائكة،

والبعث والنشور، وكذلك طبائع اليهود وما اقترفوه من آثام في حق الإنسانية وغيرها مما لحقه ضرر اليهود.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: قدرة اليهود على إثارة الحروب والفتن والعداوات بين

الشعوب، واستنزاف قواها مما يسهل انقيادها والسيطرة عليها.

1 تكتوك، آمنة عبد الله، طبائع اليهود من خلال القرآن الكريم والتوراة دراسة وصفية مقارنة، رسالة ماجستير، 2013م، جامعة أم درمان الإسلامية.

وتتمثل إضافة دراستنا في كونها تبحث في سبل الوقاية من الأمراض السلوكية لبني إسرائيل في سورة البقرة، ولا تقتصر في البحث في هذه الأمراض السلوكية لبني إسرائيل ووصفها.

2. الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحثة آلاء محمد عصام مصباح عشا، 2007م، الجامعة الأردنية¹.

هدفت الدراسة إلى البحث في الجانب المادي في الشخصية اليهودية كما عرضها القرآن، وذلك برسم صورة متكاملة للأبعاد المادية لهذه الشخصية اليهودية اعتماداً على تصوراتها الفكرية وانعكاساتها على أسلوبها في الحياة.

وقد تمكنت الباحثة من الوصول إلى مجموعة من النماذج التي عرضها القرآن والتي تبين الحقيقة المادية لليهود، وهو ما أبرز شذوذهم ومعاداتهم للفطرة الإنسانية.

وتتمثل إضافة دراستنا في كونها تبحث في أمراض بني إسرائيل السلوكية المبيّنة في سورة البقرة تجاه الله والرسالات والرسول، إضافة إلى بيان سبل الوقاية منها.

3. صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم دراسة لغوية، رسالة ماجستير للباحثة فليحة سعود حمود ظاهر الجنابي، 2005م، جامعة بغداد².

هدفت الدراسة إلى فهم طبيعة بني إسرائيل السلوكية اعتماداً على المادة اللغوية الغزيرة التي وفرها القرآن وتحدثت عنهم. وقامت الباحثة بدراسة المستوى الصرفي والنحوي لصفات بني إسرائيل، ودلالة ألفاظ الصفات السلوكية لهم، ودلالة حروف المعاني في آيات الصفات، وأثر تعدد الأوجه الإعرابية في تحديد الدلالة.

وتتمثل إضافة دراستنا في كونها تبحث في أمراض بني إسرائيل السلوكية الواردة في سورة البقرة في منظور المفسرين، إضافة إلى بيان أسبابها وسبل الوقاية منها.

1 عشا، آلاء محمد عصام مصباح، الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، 2007م، الجامعة الأردنية.

2 الجنابي، فليحة سعود حمود ظاهر، صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم دراسة لغوية، رسالة ماجستير، 2005م، جامعة بغداد.

4. الشخصية اليهودية في القرآن الكريم -دراسة موضوعية، رسالة ماجستير للباحثة فاطمة المدثر المرضي عبد الرحمن، 2001م، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية¹.

تناولت الدراسة موضوع الشخصية اليهودية في كتاب الله تعالى، وهدفت إلى فهم التركيبة النفسية شديدة التعقيد لليهود، والوقوف على جوانبها المختلفة التي دفعتهم لمخالفة الأنبياء وقتلهم وارتكاب المعاصي. وتضمنت الدراسة ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول فساد العقيدة عند اليهود، وتناول الثاني فساد أخلاق اليهود، فيما تناول الثالث عقاب اليهود إزاء معاصيهم لأوامر الله.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: فساد اعتقادهم بالله تعالى، ومما يبين ذلك إشراكهم بالله، ونسبتهم الابن إلى الله تعالى، وتحريفهم كتب الله تعالى. كذلك توصلت الدراسة إلى فساد خلق بني إسرائيل، ومن ذلك كذبهم على الله، وتمردهم عليه وعلى رسلهم، وكتمان الحق والتضليل.

وتتمثل إضافة دراستنا في كونها أكثر خصوصية في موضوعها؛ إذ إنها تبحث في الأمراض السلوكية لبني إسرائيل، كما أنها أكثر خصوصية في حدودها؛ إذ إنّ مادّة البحث تتمثل في الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة البقرة. إضافة إلى أنّ دراستنا تبحث في سبل الوقاية من هذه الأمراض السلوكية.

5. الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي².

تحدث الدكتور عن اليهود من خلال القرآن وعن بني إسرائيل، والفرق بين التسميتين، وبين الانتهاكات التي قاموا بها، وبين سنن الله الكونية التي لا تتبدل في الخلق وعرض أفعال اليهود عليها لبيان مصيرهم بالهلاك.

1 المرضي، فاطمة المدثر عبد الرحمن، الشخصية اليهودية في القرآن الكريم -دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، 2001م، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

2 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير، الناشر: دار القلم دمشق 2013 م، ط 2.

الفصل الأول

مدخل إلى مفاهيم الدراسة

المبحث الأول: التعريف بسورة البقرة، والوقوف على أهم موضوعاتها العامة.

بما أن ميدان الدراسة سورة البقرة، فلا بد أن نعرف بها تعريفاً موجزاً، ومن ثم نقف على أهم موضوعاتها ومحورها الرئيس، حتى يتسنى لنا معرفة موضع الأمراض السلوكية لبني إسرائيل في السورة ومدى ارتباطها بمحورها الرئيس.

المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة

الفرع الأول: بين يدي سورة البقرة، وسبب تسميتها بذلك

أولاً: بين يدي سورة البقرة.

سورة البقرة سورة مدنية، ورقمها (2)، وعدد آياتها (286) آية على الراجح، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، وقد اشتملت هذه السورة على أبواب كثيرة من الخير، وجمعت من العلم الشيء الكثير¹.

ثانياً: أسماء سورة البقرة التوقيفية والتوفيقية:

يقصد بالأسماء التوقيفية أنها من عند الله تعالى أو من عند النبي صلى الله عليه وسلم، وأمّا الأسماء التوفيقية فهي التي استنبطها العلماء من موضوعات السورة²، وبيان أسمائها كالآتي:

¹ انظر: حموش، مأمون، التفسير المأمون على التنزيل الصحيح والمسنون، ط1، جهة النشر: المؤلف، 2007م، (78/1).

² انظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (140). وانظر: الزركشي، البرهان، (270/1). وانظر: السيوطي، الإتقان، (109/1).

أ. الأسماء التوفيقية لسورة البقرة:

ذكر أهل العلم أكثر من اسم لسورة البقرة، هي:

1. سورة البقرة: ورد اسم البقرة في أحاديث عديدة، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»¹.

2. سورة الزهراء²: ورد اسم الزهراء مشتركاً لسورة البقرة وسورة آل عمران، فعن أبي أمامة الباهلي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الرَّهْزَاوِينَ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَتٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحَرَةُ³.

ب. الأسماء التوفيقية للسورة:

ورد لسورة البقرة اسم توفيقى واحد عن خالد بن معدان من التابعين، هو فسطاط القرآن، فعن خالد بن معدان، قَالَ: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ تَعْلُمُهَا بَرَكَتٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ، وَهِيَ فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ»⁴.

¹ مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج1، ص539.

² الزهراوان: أي المنيرتان / ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد الزاوي، المكتبة العلمية - بيروت، 1979م، ج2، ص321.

³ مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص553.

⁴ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 255هـ)، سنن الدارمي، المحقق: حسن الداراني، الناشر: دار المغني - المملكة العربية السعودية، ج4، ص2126، إسناده صحيح.

ثالثاً: سبب تسمية سورة البقرة بهذا الاسم

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل التي أمر موسى عليه السلام قومه بذبحها، وكيف ظهر تعنتهم تجاه ذبحها مع أنه أمر من الله تعالى، لذا فإن تسمية الله تعالى لهذه السورة بهذا الاسم دلالة على حكم عديده، منها¹:

1. تسليط الضوء على حادثة القتل التي حصلت في عهد موسى عليه السلام، وكيف قابل بنو إسرائيل طلب الله بذبح البقرة.
2. إبراز تباطؤ بني إسرائيل في التعامل مع أوامر الله من حيث سوء أدبهم.
3. فيها رسالة وعظة لكل قارئ للقرآن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بألا يحذو حذو بني إسرائيل في التعامل مع أوامر الله تعالى.

المطلب الثاني: ما تميزت به سورة البقرة وفضلها

أولاً: مميزات سورة البقرة

تميّزت سورة البقرة بميزات عدّة في مجالات متنوعة، ومن أهمّها:

1. أنها أطول سورة في القرآن الكريم، من حيث الطول، فعدد صفحاتها 49 وتشكل ما يقارب جزئين ونصف من أجزاء القرآن الكريم، وآياتها 286 آية على الأرجح.
2. كونها تحتوي على أطول آية في القرآن الكريم، وهي آية الدين والتي تشمل حيز صفحة كاملة.
3. فيها أعظم آية في القرآن الكريم، وهي آية الكرسي، والتي تتحدث عن الله تعالى ووحدانيته، ولها فضل كبير ينتفع المؤمن به²، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹ انظر: شرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية - خصائص السور، ط1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، 1420هـ، ج1، ص43.

² السيوطي، الدر المنثور، ج2، ص7.

بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَخْنُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَصَّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَفْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَلِكَ شَيْطَانٌ»¹.

4. تعتبر من السورة التشريعية التي تضمنت غالب أحكام الشريعة الإسلامية.

ثانياً: فضائل سورة البقرة:

من فضائل سورة البقرة ما يلي:

1. طاردة للشياطين لمن قرأها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»².

2. حافظة لصاحبها من مسّ شياطين الإنس والجنّ، فعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ³، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحَرَةُ»⁴.

3. شافعة لأهلها يوم القيامة، فعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُومُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَالْ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب فضائل القرآن - باب فضل سورة البقرة. (5010)، ج6، ص188.

² مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص539.

³ غمامتان: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة. ابن الأثير، ج3، ص403.

⁴ سبق تخريجه.

لَهُمَا رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ مَا نَسِيْنَهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا»¹.

4. كافية لمن قرأ آخر آيتين فيها، فعن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»، قال عبد الرحمن: فليقِئتُ أبا مسعود وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِيهِ².

المطلب الثالث: الموضوعات العامة لسورة البقرة ووحدتها الموضوعية

الفرع الأول: الموضوعات العامة لسورة البقرة

اشتملت سورة البقرة على العديد من الموضوعات العامة نجملها بالآتي³:

1. القرآن الكريم حق لا ريب فيه: وهذا المقصد العظيم لجميع الديانات السماوية، فكان من المناسب افتتاح السورة به، والتركيز عليه، فهو أساس هذا الدين العظيم، ومنه يكون الانطلاق إلى غيره من مقاصد شريعة الإسلام. والآيات الدالة على الموضوع في السورة هي: الآية (1-2).
2. أقسام الناس على ثلاثة أفراد، المؤمن، والكافر، والمنافق، وبيان كل منهم، الحال والمآل، ودعوة الناس لعبادة الله تعالى ليكونوا من أهل الإيمان. والآيات الدالة على الموضوع هي: 3-20.
3. دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، وحقيقة ذلك، وقد دلت الآيات 21-29 من سورة البقرة على ذلك.
4. قصة استخلاف آدم عليه السلام في الأرض، وقد دلت الآيات 30-39 من سورة البقرة على ذلك.

¹ مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص554

² البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص84.

³ انظر: أبو عرة، رينا، الخرائط العقلية ودورها في حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، 2022م، ص45.

5. بنو إسرائيل ومعالم فشلهم في خلافة الأرض، وكان التركيز في سورة البقرة على بني إسرائيل بوجه عام، وكأنه إحياء من الله عز وجل للتركيز عليهم وعلى قصصهم لأخذ العبر وعدم الوقوع في أخطائهم. وقد دلت الآيات 40-123 من سورة البقرة على ذلك.

6. إبراهيم عليه السلام ومعالم نجاحه في الاستخلاف وامتداده التاريخي، وقد دلت الآيات 124-140 من سورة البقرة على ذلك.

7. أحكام وتشريعات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وطريقنا إلى حسن خلافة الأرض، وكان التركيز على أركان الإسلام الخمس، وأحكام النساء بشكل واسع من التفصيل، والمعاملات المالية، ومما لا شك فيه أن هذه التشريعات هي الأسس التي يقوم عليها الإسلام العظيم.

قال ابن عاشور: "ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديده، وأصول تطهر النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم"¹.

الفرع الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة البقرة

اختلف العلماء في تحديد الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، ومن ذلك:

1. ذهب فريق إلى أن الموضوع الرئيس لسورة البقرة هو كتاب التكليف بالخلافة، وهو الأمر الذي أُسكن لأجله آدم والصالحون من ذريته من نسل إسحق ويعقوب، وقصة البقرة تدل على ذلك، وتدل على البعث الذي فيه يحاسب الناس على قيامهم بالتكليف أو تقصيرهم فيه، والإيمان بل الإيقان به مهم جداً للقيام بحق الخلافة، ثم توقفت الإمامة فيهم، بل ولم يعودوا يصلحون لمجرد الطاعة والاتباع لمحمد².

¹ ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ) التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص203.

² حميدة، طارق مصطفى محمد، التناسب في سورة البقرة "رسالة ماجستير"، جامعة القدس - فلسطين، 2007م.

2. وذهب آخرون إلى أنَّ المدافعة هي الوحدة الموضوعية، حيث أشار الزومي إلى أنَّ استقراء أقوال العلماء في مقصد السورة، وتحليل سبر الآيات ومفهومها، أثبت أنَّ محور (المدافعة) هو المقصد الرئيس لسورة البقرة¹.

وبالنظر إلى الموضوعات العامة لسورة البقرة نجد أنَّ موضوع الاستخلاف هو الأبرز فيها، ولا يعني ذلك استبعاد موضوع المدافعة؛ لأنَّ من معالم استخلاف المؤمن سنة التدافع بين الحق والباطل.

¹ انظر: الزومي، حسين بن علي عمر، محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة دراسة في مقاصد السور، 2015م، مجلة جامعة المدينة العالمية | المحكمة، العدد 13، (245-270).

المبحث الثاني: التعريف ببني إسرائيل وبيان حقبهم التاريخية

المطلب الأول: نشأة بني إسرائيل وأقسامهم

الفرع الأول: التعريف ببني إسرائيل

بنو إسرائيل هم بنو يعقوب عليه السلام وعددهم اثنا عشر ولدا ذكراً، كما جاء في خطاب الله تعالى لهم، حيث خاطبهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [سورة البقرة: 40]، ويورد ابن جرير في تفسيره أن إسرائيل هو يعقوب، حيث يقول: "يعني بقوله جل ثناؤه: "يا بني إسرائيل" ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، وكان يعقوب يدعى "إسرائيل"، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه. و"إيل" هو الله، و"إسرا" هو العبد، كما قيل: "جبريل" بمعنى عبد الله"¹.

والفرق بين اليهود وبني إسرائيل يجب أن يكون واضحاً إذ أن القرآن فرق بينهما، يقول الدكتور صلاح الخالدي في كتابه الشخصية اليهودية: "إن هذا الشعب المعروف في التاريخ يسمى بني إسرائيل في حياته السابقة، منذ يوسف عليه السلام انتهاءً ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم وأخذ اسماً جديداً وهو اليهود، ويخطئ كل من يطلق عليه الاسم السابق... أما عندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أصبح هو الوارث الديني والإيماني ليعقوب عليه السلام والأنبياء من ذريته... لذلك لم يعودوا مستحقين لهذا الاسم الكريم... وهذا الاسم (اليهود) يطلق عليهم مجرداً من معانيه وظلاله الإيمانية من التوبة والرجوع إلى الله، لأننا رجحنا أنه أعجمي جامد وليس مشتق من اليهود وهو في هذا ينطبق عليهم تماماً"².

¹ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م، ج6، ص7.

² الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير، ص39.

وبهذا فإن بني إسرائيل هم أحفاد إبراهيم عليه السلام وهم الأسباط الذين ذكرهم الله في كتابه العظيم جاء في كتاب بنو إسرائيل في ضوء الإسلام "يطلق المؤرخون أسماء "العبرانيين واليهود وبني إسرائيل" ويريدون بها طائفة واحدة معينة من الناس وهم: أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام"⁽¹⁾.

الفرع الثاني: أقسام بني إسرائيل

تتحدّر سلالة (بنو إسرائيل) من نسل يعقوب عليه السلام، فهم أحفاد إبراهيم عليه السلام، وهم من أطلق عليهم القرآن الكريم اسم الأسباط²، وهم أخوة يوسف عليه السلام الأحد عشر، وعندما تكاثروا أصبح لكل واحد منهم عائلة منفصلة عن الآخر، ومن نسلهم قوم موسى عليه السلام³، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة الأعراف: 134]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُفُوزًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِكِينَ﴾ [سورة البقرة: 60].

¹ سليم، محمد أمين، بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السابعة - العدد الثالث - محرم 1395هـ - يناير 1975م، ص 71.

² والأسباط في أولاد إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، واحد منهم سبط، فهو وقع على الأمة، والأمة واقعة عليه. (هـ) ومنه الحديث الآخر «الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم» أي طائفتان وقطعتان منه. وقيل الأسباط خاصة: الأولاد. وقيل أولاد الأولاد. وقيل أولاد البنات، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص 334.

³ انظر: أبو طالب، نصر الله، اندحار من بعد اصطفاء - بنو إسرائيل بفلسطين: أحداث وعبر، ط 1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، 2005م، ص 23.

المطلب الثاني: الحقب التاريخية لبني إسرائيل من منظور القرآن الكريم

كما ذكرنا سابقاً، فإن بني إسرائيل هم بنو يعقوب عليه السلام، وقد مروا إلى يومنا هذا بعدة فترات تاريخية بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، هي:

أولاً: الحقبة الأولى، من زمن يعقوب عليه السلام إلى زمن موسى عليه السلام

وهذه الفترة ابتدأت بالعزة والتكريم والأمان، وانتهت بالذل والهوان والعذاب، ففي بداية الأمر كان إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام، يعيش في فلسطين أرض كنعان مع أبنائه الإثني عشر، وسورة يوسف في القرآن الكريم تروي لنا شاهداً من قصة أبناء يعقوب بالتفصيل، وكيدهم بأخيهم يوسف، وإلقائه في البئر، والعثور عليه من قبل القافلة، إلى أن انتهى به الأمر إلى عزيز مصر، وانتقال والديه وإخوانه إلى مصر¹، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۖ﴾ [سورة يوسف:99]، وللوقوف على تفاصيل القصة يمكن الرجوع إلى سورة يوسف في القرآن الكريم.

ثم إن بني إسرائيل استقر بهم الأمر في مصر معززين مكرمين تحت رعاية عزيز مصر، ثم آل بهم الأمر سيطرة فرعون حاكم مصر، وقد عاش بنو إسرائيل في مصر وتكاثروا وتناسلوا حتى أصبحوا أمماً وأعداداً كبيرة إلى عهد موسى عليه السلام، وقد عاشوا في عهد موسى مستعبدين من قبل فرعون، حتى أنه قتل أبناءهم واستحيا نساءهم خوفاً على عرشه وإفساداً في الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلَوى كُؤًا مِّن طَيِّبَتٍ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف:160].

¹ انظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج7، ص3861.

ومن زمن يوسف وإخوته إلى زمن موسى عليه السلام فترة طويلة تغير فيها الحال، وانقلب فيها المقال، "ويختلف المؤرخون في تقدير المدة الزمنية التي انقضت ما بين هجرة إسرائيل عليه السلام وجميع آل بيته إلى مصر وما بين خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة الرسول الكريم موسى عليه السلام، وأغلبهم يقدرها بحوالي (600) عام، وفي النهاية خرج بنو إسرائيل من مصر إلى سيناء بصحبة موسى عليه السلام، فنجاهم سبحانه وتعالى وأغرق فرعون وجنوده في اليم.

وفي عهد موسى عليه السلام وبعد أن نجاه الله ومن معه من فرعون وظلمه، تعرض بنو إسرائيل للشتات والتهيه بسبب رفضهم لأوامر موسى والقتال معه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:26].

يقول سيد قطب في الظلال: "وهكذا أسلمهم الله -وهم على أبواب الأرض المقدسة - للتهيه وحرم عليهم الأرض التي كتبها لهم.. والأرجح أنه حرّمها على هذا الجيل منهم حتى تثبت نابتة جديدة... جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر"¹.

ثانياً: الحقبة الثانية، من زمن موسى عليه السلام إلى زمن عيسى عليه السلام

تبدأ بنجاتهم من فرعون الطاغية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ۝١٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝٢٠﴾ [البقرة:49-50]، وهذه الفترة تمتاز بكثرة الأنبياء إلى بني إسرائيل وسيطرتهم على ملك الأرض المباركة، قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَظْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، 1980، دار الشروق، ج2، ص871.

بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: 137]، ومن أشهر أنبيائهم وملوكهم في بداية هذه الفترة داود وسليمان عليهما السلام، وهذه الحقبة بدأت بالسيطرة والتمكين، وانتهت بالبعد عن أوامر الله، وقتل الأنبياء والإفساد في الأرض، قال تعالى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِنِيَ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَعَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: 30-33]، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من الأحداث لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون الطاغية، من أبرزها:

1. مرور بني إسرائيل يقوم يعبدون أصناماً، فطلبوا من موسى عليه السلام إلهاً كما لهؤلاء آلهة، وهذا دليل على زيف إيمانهم، قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: 138]¹.

والسبب في ذلك، لأنهم أشربوا في قلوبهم العجل حيث نشؤوا على ما استعبدوا به، لذا صعب عليهم تركه حتى مع إيمانهم بموسى عليه السلام، مصداقاً لقول الله تعالى: وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم... الآية.

2. ارتداد بنو إسرائيل على أعقابهم واتخذوا العجل رباً للعبادة عندما ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه، وهذا دليل على هشاشة عقيدتهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلاً جَسَداً لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: 148]².

¹ انظر: النسفي، عمر بن محمد (ت 537هـ) التيسير في التفسير، المحقق: ماهر أديب حبوش، ط1، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث -إسطنبول، 2019م، ج6، ص492.

² انظر: الطبري، جامع البيان، ج10، ص447.

3. طلبُ بني إسرائيل من موسى رؤية الله جهرة عندما اختار سبعين رجلاً من صفوتهم لميقات الله، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قبحهم وسوء ظنهم بأنبيائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْحَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 55]¹.

ثالثاً: الحقبة الثالثة، من زمن عيسى عليه السلام إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

كان بنو إسرائيل هم اليهود فقط قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقد بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]، وبعثته عليه السلام، كان له أتباع، وأنزل الله عليه الإنجيل فظهر النصارى² وانقسم بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى، وهم من أطلق عليهم سبحانه وتعالى اسم أهل الكتاب.

ومن المنظور القرآني، فإنهم بقوا على حالهم بين صالح وطالح، إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فآمن الصالحون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فأصبحوا مسلمين، ومنهم عبد الله بن سلام، وأبي بن كعب، رضي الله عنهما حيث كانوا من علماء اليهود، والنجاشي رحمه الله كان ملك الحبشة من النصارى، قال الله تعالى في حقهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١٣] لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا آذَىٌّ وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٤﴾ ضُرِبَتْ

¹ انظر: العلمي، مجير الدين بن محمد (ت 927هـ) فتح الرحمن في تفسير القرآن، المحقق: نور الدين طالب، ط1، دار النوادر، 2009م، ج1، ص108.

² (النصارى) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين، والتي ولد فيها المسيح عليه السلام، أو لأنهم نصرُوا عيسى عليه السلام، ثم أطلق على كل من ادعى اتباع المسيح تغليباً، قال تعالى: (قال الحواريون نحن أنصار الله) [الصف: 14] / <https://www.islamweb.net/ar/fatwa/8210>.

عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيَّتَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
 الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ
 ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ [آل عمران: 110-115].

المبحث الثالث: مفهوم الأمراض السلوكية وورودها في السياق القرآني

المطلب الأول: مفهوم الأمراض السلوكية

الفرع الأول: معنى المرض لغة واصطلاحاً

المرض لغة:

مرض: "الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان"¹. والمَرَضُ: "السُّقْمُ نَقِيضُ الصِّحَّةِ، يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ وَالْبَعِيرِ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْجِنْسِ"²، "ورأي مريض: فيه انحراف عن الصواب، والمرض: الشك، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [سورة البقرة: 10]، أي شك ونفاق وضعف يقين. قال أبو إسحاق: يقال المرض والسقم في البدن والدين جميعاً، والمرض في القلب"³.

المرض اصطلاحاً:

بعد تتبع أقوال العلماء في بيان مفهوم المرض من حيث الاصطلاح نجدهم يجعلونه على ضربين: أولهما المرض الجسمي، والثاني المرض المعنوي، قال الجرجاني في التعريفات "المرض: هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص"⁴. وفي كتاب المفردات للأصفهاني يقول: "مرض المَرَضُ: الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وذلك ضربان: الأول: مَرَضٌ جَسْمِيٌّ، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61]، قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرَضَى﴾ [التوبة: 91]. والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل،

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج5، ص311.

2 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، ج7، ص231.

3 ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص232.

4 الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص211.

والجبن، والبخل، والنفاق، وغيرها من الرذائل الخلقيّة. نحو قوله: قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ

اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10]¹، وقال السمرقندي: "قوله تعالى: في

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يعني شكاً ونفاقاً وظلمة وضعفاً، لأن المريض فيه فترة ووهن، والشاك أيضاً في أمره فترة

ضعف. فعبر بالمرض عن الشك، لأن المنافقين فيهم ضعف ووهن، ألا ترى إلى قوله تعالى: قوله تعالى:

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ﴾ [سورة المنافقون: 4].

إذن المرض لغة واصطلاحاً يسيران في نفس الاتجاه، غير أنهما مختلفان في حقيقتهما فالأول مادي والآخر

معنوي، ومن خلال النظر في التعريف الاصطلاحي للمرض وهو مرض القلوب والاعتقاد والذي ينتج عنه

سلوكيات مختلفة، وبالتالي له تأثير مادي جسدي فهو لا يختلف عن المرض العضوي للجسد.

وفي التتمة فإنّ المعنى اللغوي الاصطلاحي للمرض والمعنى المختار الذي تسير وفقه الدراسة هو المرض

المعنوي المتمثل بكل ما يخرج الإنسان عن حدّ الصواب واليقين كأمراض القلوب من النفاق والبخل، وأمراض

العقول كالجهل والظنّ والشكّ، وأمراض السلوك كالقتل والضرب.

الفرع الثاني: معنى السلوك لغة واصطلاحاً

1. السلوك لغة

قال ابن فارس: "السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَفْوذِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ. يُقَالُ سَلَكَتِ الطَّرِيقَ أَسْلُكُهُ".²

والسُّلُوكُ: مَصْدَرُ سَلَكَ طَرِيقًا؛ وَسَلَكَ الْمَكَانَ يَسْلُكُهُ سَلَكًا وَسَلُوكًا وَسَلَكَهُ غَيْرُهُ وَفِيهِ وَأَسْلَكَهُ إِيَّاهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ".³

¹ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان

عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ، ج1، ص765.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص97.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص442.

2. السلوك اصطلاحاً

السلوك في الاصطلاح هو "كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد سواءً كانت ظاهرة أم غير ظاهرة"¹. وقد عرفه الجرجاني بأنه مشي الشخص على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، حيث إن العلم المتحصل له مانعاً من ورود الشبهة المضلة له². وفي الآية الكريمة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [سورة المدثر: 42]. جاء سلككم بمعنى أدخلكم، فعن ابن عباس قال: "هم الملائكة، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ إلا إنهم لم يقتربوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقتربوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحداً لا يعاقب إلا على المعصية"³. وهنا دلالة على أن السلوك هو الطريق والمنهج على غير علم ولا هدى.

ومن المنظور الإيجابي للسلوك فهو ذلك الطريق الذي أمر به الخالق لرسله وخلقه للفوز بالجنة والنجاة من النار، حيث يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "فَإِنَّ السُّلُوكَ هُوَ بِالطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَهَذَا كُلُّهُ مُبَيَّنٌّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ هَذَا بِمَنْزِلَةِ الْغِذَاءِ الَّذِي لَا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْهُ"⁴.

3. العلاقة بين المعنيين (اللغوي والاصطلاحي)

يتوافق المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في أن السلوك لغة هو خط السير والطريق، غير أن الاصطلاح يبين الحال في اتخاذ الطريق، والذي هو متأصل في صاحبه.

¹ السلطاني، حوراء، تعديل السلوك الإنساني، تاريخ النشر: 2016/02/25م، الرابط: [UOBabylon Repository](http://UOBabylonRepository.com) تعديل السلوك الإنساني، تاريخ العودة إلى الرابط: 2023/08/03م.

² انظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، ص116.

³ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24، ص37

⁴ ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، 1426هـ، ج19، ص273.

المطلب الثالث: مفهوم الأمراض السلوكية

من تعريف المرض والسلوك لغة واصطلاحاً، يمكن القول بأن الأمراض السلوكية هي: الأخطاء السلوكية للأفراد أو الجماعات استجابة لما يجول بداخل الإنسان من وساوس وأهواء وأحقاد وضغينة، فينتج عنها تصرفات غير مرغوب بها يرفضها الفرد والمجتمع فطرياً ودينياً.

ومما لا شك فيه بأن الأمراض التي نحن بصدد الحديث عنها موجودة في قلب كل إنسان، غير أن المسلم يقاوم تلك الأمراض والأهواء ولا يستجيب لها. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: 7-10]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات: 40-41].

وأما بنو إسرائيل لما ساروا خلف أهوائهم وشهواتهم ظهرت العديد من المشاكل السلوكية انعكاساً لعقولهم القاصرة المريضة.

المطلب الرابع: ورود الأمراض السلوكية في السياق القرآني

جاء لفظ مرض في القرآن الكريم في اثنتي عشرة آية كلها دلت على المعنى اصطلاحاً، وهو مرض القلوب المتمثل بالنفاق والحسد والحقد وضعف الإيمان على النحو الآتي:

1. قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 10].

2. قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ

بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [سورة المائدة: 52].

3. قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: 49].

4. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة: 125].

5. قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة الحج: 53].

6. قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة النور: 50].

7. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12].

8. قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَآحِدٍ مِّنَ النِّسَاءِ اِنْ اُتَّقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب: 32].

9. قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: 60].

10. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَظُنُّونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [سورة محمد: 20].

11. قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَاهُمْ﴾ [سورة محمد: 29].

12. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ [سورة المدثر: 31].

أما المرض الجسدي وهو الذي يحتمله المعنى اللغوي فجاء في السياق القرآني على صيغة مرضى أو المرضى في أربع آيات دلت على المعنى نفسه وهو القصور الجسدي، هي:

1. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ [سورة النساء: 43].

2. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَافِيَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِيَةً أُخْرَى لَمْ يَصْلُوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ [سورة النساء: 102].

3. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ

مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [سورة المائدة: 6].

4. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ [سورة التوبة: 91].

5. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلَاثَهُ وَطَائِفَتُهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [سورة المزمل: 20].

وكل هذه الآيات ورد فيها المرض بمعنى قصور الجسد عن أداء وظائفه الطبيعية، وهذا المعنى ليس هو المقصود في هذه الدراسة.

الفصل الثاني

أنواع أمراض بني إسرائيل السلوكية وأسبابها في ضوء سورة البقرة

المبحث الأول: أنواع الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل في سورة البقرة:

لقد تجاوز بنو إسرائيل الحدّ في سلوكهم الخاطئ والمنبوذ على أرض الواقع، والذي هو ناتج عن كفرهم ونفاقهم وعدم صفاء قلوبهم واتباعهم أهوائهم وتغليبهم مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة، سواء كان ذلك مع أنبيائهم أو فيما بينهم أو تعاملهم مع الأقوام الأخرى، وقد تعددت أخطاؤهم وتشكلت تبعاً للأوامر التي أمرهم بها أنبيائهم، ومن خلال سبرها وُجد أنّ أمراضهم السلوكية التي عرضتها سورة البقرة تنقسم إلى أربعة أقسام:

1. الأمراض السلوكية العقدية.
2. الأمراض السلوكية الأخلاقية.
3. الأمراض السلوكية الاجتماعية.
4. الأمراض السلوكية الاقتصادية.

المطلب الأول: الأمراض السلوكية العقدية.

ويندرج تحت هذا العنوان العديد من الأمراض السلوكية المنقشة في بني إسرائيل جراء فساد عقيدتهم وضعفها.

المسألة الأولى: الشرك والكفر

نبيّن في هذا المطلب مفهوم كل من الكفر الشرك، وصورهما المتحقّقة في بني إسرائيل من خلال سورة البقرة.

الفرع الأول: تعريف الكفر الشرك اصطلاحاً.

أولاً: معنى الكفر: عرفه ابن تيمية أنه عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة⁽¹⁾. "والكفر ضد الإيمان، ويعرف شرعاً بأنه: جحد ما لا يتم الإسلام بدونه. أو جحد ما لا يتم كمال الإسلام بدونه"².

ثانياً: معنى الشرك: عرفه القرطبي بأنه اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهاً⁽³⁾.

الفرع الثاني: صور شرك وكفر بني إسرائيل

على الرغم من وجود موسى وهارون بين يدي بني إسرائيل، ونجاتهم من براثن فرعون، ورؤيتهم لنهايته وجنوده، إلا أنّ بني إسرائيل تبجحت في طلبها عبادة العجل، وافترائها على الله تعالى، لذا فإن الله قد سجل كل ذلك في كتابه القرآن الكريم، حتى لا تتحى أمة محمد ما فعلته بنو إسرائيل، وحتى تكون صورة بني إسرائيل واضحة أمام الجميع.

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: 88]، دلالة واضحة على تلبس بني إسرائيل بالكفر، وما الصور التي ذكرتها سورة البقرة وغيرها من الصور إلا دليل على ذلك.

¹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 12، ص 335.

² صوفي، عبد القادر عطا، المفيد في مهمات التوحيد، ط1، دار الإعلام، 1422-1423هـ، ص 175.

³ أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 1384هـ، ج 5، ص 181.

قال الألوسي: "بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ رد لما قالوه، وتكذيب لهم فيما زعموه، والمعنى أنها خلقت على فطرة التمكن من النظر الصحيح الموصل إلى الحق لكن الله تعالى أبعدهم، وأبطل استعدادهم الخلقي للنظر الصحيح بسبب اعتقاداتهم الفاسدة وجهالاتهم الباطلة الراسخة في قلوبهم، أو أنها لم تأب قبول ما نقوله لعدم كونه حقاً وصدقاً بل لأنه سبحانه طردهم وخذلهم بكفرهم فأصمهم وأعمى أبصارهم. أو أن الله تعالى أقصاهم عن رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو أجل آثارها"¹.

تعددت صور الشرك عند بني إسرائيل، ومن هذه الصور ما يلي:

أولاً: عبادة العجل: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 51] دلالة على أن بني إسرائيل "اتخذوا معبوداً من دون الله في زمان موسى وآياته"²، وهو ما سجلته آيات سورة البقرة بمراجعة موسى لقومه، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمٌ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 54]. وقد كفروا وأشركوا على الرغم من مجيء موسى بالمعجزات الكثيرة والبراهين العديدة الدالة على وحدانية الله ووجوب التوجه إليه بالعبادة فقط، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 92]، أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وصحة نبوته، كالعصا التي تحولت ثعباناً مبيناً، ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين، وفلق البحر ومصير أرضه له طريقاً يبساً، والجراد والقمل والضفادع، وسائر الآيات التي بينت صدقه وصحة نبوته"³.

¹ الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، ط1، دار الكتب العلمية-بيروت، 1415هـ، ج1، ص318.

² ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧4هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419هـ، ج1، ص 329.

³ الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 2، ص 354.

وعندما توجهوا بكفرهم وشركهم لعبادة العجل كان ذلك بسبب تأثرهم بعبادة الفراعنة لغير الله تعالى، قال تعالى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة:93].

وانظر إلى ما في الظلال من تفسيرها: "فأما الصورة الغليظة التي ترسمها: ﴿وَأُشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ فهي صورة فريدة. لقد أشربوا. أشربوا بفعل فاعل سواهم. أشربوا ماذا؟ أشربوا العجل! وأين أشربوه؟ أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصورة الساخرة الهائلة: صورة العجل يدخل في القلوب إدخالاً، ويحشر فيها حشراً، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكانهم أشربوه إشرباً في القلوب! هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور، بالقياس¹.

ثانياً: سعي بني إسرائيل لكفر من يوحد الله تعالى: حتى أنهم يودّون لو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تتحرف عن الوحدانية وتشرك بالله عز وجل وتكفر بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة البقرة:109]، "فَهُمْ يَوَدُّونَ بَقَاءَ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى كُفْرِهِ وَيَوَدُّونَ أَنْ يَرْجَعَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ إِلَى الْكُفْرِ"².

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، سورة البقرة آية 93.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص699.

ثالثاً: نسبة الأولاد إلى الله، هذه الصورة لم تُذكر في سورة البقرة، وإنما ذكرت هنا لنتبين أكثر حول صور شركهم بالله، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ط ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِي قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة التوبة: 30]، وقد ذكر ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة: "ويقول اليهود منهم عزيز ابن الله، ويقول النصارى منهم: المسيح ابن الله، تشنيعاً على قائلتهما من أهل الكتاب بأنهم بلغوا في الكفر غايته حتى ساووا المشركين"¹.

رابعاً: اتخاذ الأرباب من دون الله، وفيه قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: 31]. والرهبان اسم جمع لراهب، وهو: "التقي المنقطع لعبادة الله من أهل دين النصرانية، وإنما خص الحبر بعالم اليهود؛ لأن عظماء دين اليهودية يشتغلون بتحرير علوم شريعة التوراة فهم علماء في الدين وخص الراهب بعظيم دين النصرانية لأن دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدنيا والانتقطاع للعبادة، ومعنى اتخاذهم هؤلاء أرباباً أن اليهود ادعوا لبعضهم بنوة الله تعالى وذلك تأليه، وأن النصارى أشد منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريين، وصورة يحيى بن زكريا، والسجود من شعار الربوبية، وكانوا يستتصرون بهم في حروبهم ولا يستتصرون بالله، وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم، ولأنهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين، فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله"².

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص 170.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص 171.

ومما سبق يتبين كيف كان شرك وكفر بني إسرائيل بالله عز وجل، وذلك بعد ما جاءهم من البينات والأدلة التي تبين وحدانية الله عز وجل؛ حيث تجلّى ذلك بشركهم بالله عز وجل، وزعمهم أن لله ولد يشاركه بالألوهية، كما أنهم عبدوا العجل وجعلوه شريكاً في عبادتهم، الأمر الذي تسبب لهم بالعقاب والقتال من الله عز وجل.

لذا فمن الواجب على الأمة الإسلامية أن يكون موقف بني إسرائيل من وحدانية الله واضحاً جلياً، فقد كفروا وأشركوا وافتروا على الله، وودّوا لو كلّ موحدٍ أن يكون كافراً. والحذر كل الحذر من أن ننحى ما ذهبوا إليه.

المسألة الثانية: التفريق بين الأنبياء

تفريق بني إسرائيل بين الأنبياء من السلوك المعهود عنهم، لذا فإن آيات كثيرة تحدثت عن ذلك، وحذرتهم من الاستمرار عليه، ولكن أبى بنو إسرائيل إلا اتباع الهوى، فقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: 87]، "مَاذَا كَانَ حَظُّ أُولَٰئِكَ الرُّسُلِ مِنْ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ؟ كَانَ حَظُّهُمْ مِنْهُمْ مَا أَفَادَهُ الْإِسْتِفْهَامُ النَّوْبِخِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، فَانْتَبَعْتُمُ الْهَوَىٰ وَأَطَعْتُمُ الشَّهَوَاتِ، وَعَصَيْتُمُ الرُّسُلَ وَاحْتَمَيْنْتُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ أَنْذَرُوكُمْ وَدَعَوْكُمْ إِلَىٰ أَحْكَامِ كِتَابِكُمْ، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾" ¹.

ومن الشواهد على تلبس بني إسرائيل بمرض التفريق بين نبي وآخر ما يلي:

أولاً: إيمان اليهود ببعض الرسل، وكفرهم بالبعض الآخر، حيث قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 136]. فهذا التوجيه الرباني لأمة

¹ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج1، ص312.

محمد صلى الله عليه وسلم، حتى لا يكونوا مثل بني إسرائيل في تعاملهم مع أنبياء الله تعالى، بل إن كل الأنبياء سواء لا نفرق بين أحد منهم من حيث الإيمان والتصديق، وهذا ما بيّنه ابن كثير بقوله: "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلاً وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥٧﴾" ¹.

ووجه الدلالة في قوله تعالى: "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ [البقرة: 136]، أن المسلمين مؤمنون بجميع الأنبياء، وحالهم في ذلك مختلف عن اليهود والنصارى؛ فاليهود تبرأت من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما، والنصارى تبرأت من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت بغيره من الأنبياء ².

ثانياً: إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على الرغم من تصديقه للتوراة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 101]، ففي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: فإنه للذي هو مع اليهود، وهو التوراة، فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة، أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي لله، (نبذ فريق)، يعني بذلك: أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرين، حسداً منهم له وبغياً

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 448.

² الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 596.

عليه¹. وقد أخبر الله تعالى محمداً عليه السلام موقف بني إسرائيل من نبوته، وأنها امتداد لسلوكهم التاريخي تجاه أنبياء الله، فهو مرض متأصل فيهم.

ثالثاً: كثرة السؤال على سبيل التعنت والعناد مع الرسول صلى الله عليه وسلم، في قصة البقرة وطلب موسى منهم ذبحها، وفي المقابل سؤالهم عن عمرها ولونها وهل هي عاملة أم لا قبل أن يذبحوها دليل واضح على تلبسهم بمرض كثرة السؤال عناداً وتعنتاً، حيث يقول تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة البقرة: 68-70]. يقول سيد قطب في وصفهم: "ولكن طبيعة التلكؤ والالتواء تتركهم، فإذا هم يسألون: (قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي؟).. والسؤال بهذه الصيغة يشي بأنهم ما يزالون في شكهم أن يكون موسى هازئاً فيما أنهى إليهم! فهم أولاً: يقولون: (ادع لنا ربك).. فكأنما هو ربه وحده لا ربهم كذلك! وكأن المسألة لا تعنيهم هم إنما تعني موسى وربه! وهم ثانياً: يطلبون منه أن يدعو ربه ليبين لهم: (ما هي؟) والسؤال عن الماهية في هذا المقام -وإن كان المقصود الصفة- إنكار واستهزاء.. ما هي؟ إنها بقرة. وقد قال لهم هذا من أول الأمر بلا تحديد لصفة ولا سمة. بقرة وكفى!².

وهذا المرض قوبل به محمد صلى الله عليه وسلم حين أكثر أهل الكتاب من السؤال عناداً وتعنتاً، فقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنِ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة النساء: 153]، وتأويل هذه الآية كما جاء في تفسير ابن كثير:

¹ الطبري، جامع البيان، ج2، ص 403.

² سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، سورة البقرة آية 68.

"والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء، على وجه التعنت والافتراء، كما سألت بنو إسرائيل موسى، عليه السلام، تعنتاً وتكذيباً وعناداً"¹.

ومما سبق يتبين أن من الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل: التفريق بين الأنبياء، وتفضيل نبي على نبي وهذا ناتج عن العنصرية لديهم، وبذلك خالفوا نصاً صريحاً في القرآن الكريم يؤكد أن لا فرق بين نبي ونبي آخر عليهم السلام أجمعين، إضافة إلى تكذيب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإنكار دعوته رغم أنهم يعلمون صدقه وصدق نبوته، وهذا أدى بهم إلى جداله والتعنت في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثالثة: تحريف كلام الله

تعددت الشواهد الدالة على قيام بني إسرائيل بتحريف كلام الله تعالى، ومن ذلك:

أولاً: تحريف كلام الله عز وجل مع العلم به، تحريف كلام الله من قبل أناس عاشوا مع أنبيائهم وشاهدوا معجزاتهم المادية أمر غير معهود، ولكن القرآن الكريم سجل لنا أن من بني إسرائيل من حرفوا كلام الله تكسباً أو جاهاً أو عناداً، بل وادّعاهم أن ما كتبوه هو كلام الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 75]. والآية في سياقها مواساة لأحاب القلوب البيضاء الذين طمعوا بإيمان اليهود بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، فكان التوضيح من الله تعالى أن من حرف كلامه وبّله وحذف منه أتى له أن يؤمن بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام. وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات: "يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: ينقاد لكم بالطاعة، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 381.

يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴿١﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله ﴿مَنْ بَعْدَ مَا عَقِلُوا﴾ أي: فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله¹.
 ثانياً: تحريفهم كلام الله عز وجل وادعائهم أنه من عند الله، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 79]، وهذا امتداد لما سبق وأشد فتكاً بهم، ومتمثل بنسبة ما كتبوه إلى الله! فواعجباً لمن ساقه مرضه إلى الهاوية. فالذين "حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتاباً على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفاً لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله لطلب عرض من الدنيا خسيس، فقال الله لهم: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾"².

ثالثاً: تحريفهم للكلم عن مواضعه وإنكارهم للحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِالسِّنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: 46].

"يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 307 .

² الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 270.

مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿سورة النساء: 44﴾ أي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع¹.

وقد وضحت النصوص القرآنية صفة ذميمة في بني إسرائيل، وهي تحريفهم لكلام الله عز وجل، وتأويل على غير التأويل الصحيح، بل وتعدى الأمر بهم إلى تحريف كلام الله والكذب على الله عز وجل والادعاء أنه من عند الله، وما هذا إلا بسبب اتباعهم أهوائهم وابتغائهم عرض الحياة الدنيا.

المطلب الثاني: الأمراض السلوكية الأخلاقية

المسألة الأولى: تلبس بني إسرائيل بمرض الكذب

الفرع الأول: تعريف الكذب اصطلاحاً

الكذب اصطلاحاً: "هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه"².

الفرع الثاني: صور كذب بني إسرائيل

عند الحديث عن الكذب في أمة كاملة كبني إسرائيل فهذا يعني أنه أصبح ثقافة مورثة بين الأجيال، ومرضاً يسري في عروق الأغلب من بني إسرائيل، وقد أسندت الآيات الكريمة مرض الكذب إلى بني إسرائيل صراحة أو ضمناً، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: 87]، فسلوكهم أحد أمرين: إما الكذب أو القتل ولا ثالث لهما. ومن النصوص التي تناولت صوراً من كذب بني إسرائيل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة: 14]، ويبين الشعراوي تمرس بني

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 323.

² الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 183.

إسرائيل على الكذب بقوله: "وهؤلاء المنافقون متعارضون في ملكاتهم، ملكة لسانية تؤمن، وملكة قلبية تكفر. والمزاوجة بين الملكات المتناقضة أمر عسير على النفس وشاق، ويتطلب مجهوداً عاطفياً، ومجهوداً عقلياً، ومجهوداً حركياً، فهُمْ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا كَلَاماً، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا كَلَاماً"¹. كذلك تناول قوله تعالى صورة من كذب بني إسرائيل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 79]، ومن صور كذب بني إسرائيل على الله ما ورد في سورة المائدة، حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَاقِيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَادَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: 64]، وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن اليهود بأنهم وصفوا الله عز وجل وتعالى عن قولهم علواً كبيراً، بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بقولهم: {يد الله مغلولة}"².

المسألة الثانية: الجدال

الفرع الأول: تعريف الجدال اصطلاحاً

"عبارة عن وراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"³، وهو طريقة في المناقشة والاستدلال صورها الفلاسفة بصور مختلفة وَهُوَ عِنْدَ مَنَاطِقَةِ الْمُسْلِمِينَ قِيَاسٌ مِّنْ مَّشْهُورَاتٍ أَوْ مُسْلِمَاتٍ"⁴.

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 9، ص 5487.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 146.

³ الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 75.

⁴ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 111.

الفرع الثاني: صور من جدال بني إسرائيل في القرآن

من صور جدال بني إسرائيل التي تتجلى في كتاب الله تعالى جدالهم مع موسى عليه السلام في ذبح البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٧١﴾ [البقرة: 67-71].

ويبين ابن كثير في تفسيره بأن بني إسرائيل لو لم يجادلوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فكانت النتيجة أن شُدد عليهم¹.

وجدالهم في قصة البقرة جلى لنا الكثير من صفاتهم النفسية المريضة، أعلاها قلة أدبهم مع الله حين قولهم "ادع لنا ربك"، وكأن الله رب موسى وحده، وأدناها تلكؤهم في الذبح فكانهم مجبرون على الفعل مع أنهم هم الذين طالبوا بمعرفة القاتل. وفي قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٧١﴾ بيان رفضهم الطاعة والإنصياع لأوامر الله تعالى حتى وبعد كل المراوغات والأسئلة والاستفسارات الغير منطقية،

المطلب الثالث: الأمراض السلوكية الاجتماعية

المسألة الأولى: نقض العهد والميثاق

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 295.

نبين في هذا المطلب مفهوم الميثاق، ونورد بعض الشواهد التي تدلّ على إصابة بني إسرائيل بمرض نقض العهد والميثاق.

الفرع الأول: تعريف الميثاق في اللغة والاصطلاح.

أولاً: الميثاق في اللغة: يأتي بمعنى العهد، وجمعه ميثاق، موثيق، الموثقة المعاهدة¹، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ [سورة المائدة: 7].

ثانياً: الميثاق في الاصطلاح: عرف الدكتور أبو هيف الميثاق بأنه: اتفاق مبرم بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول لمدة زمنية معينة².

الفرع الثاني: الموثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل

1. ميثاق عبادة الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: 83] "ذلك الميثاق الذي أخذه عليهم في ظل الجبل، والذي أمروا أن يأخذه بقوة وأن يذكروا ما فيه.. أن ذلك الميثاق قد تضمن القواعد الثابتة لدين الله. هذه القواعد التي جاء بها الإسلام أيضاً، فتنكروا لها وأنكروها.

لقد تضمن ميثاق الله معه: ألا يعبدوا إلا الله.. القاعدة الأولى للتوحيد المطلق. وتضمن الإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين. وتضمن خطاب الناس بالحسن، وفي أولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. كذلك تضمن فريضة الصلاة وفريضة الزكاة. وهذه في مجموعها هي قواعد الإسلام وتكاليفه³.

¹ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج 2، ص 1012.

² علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام: النظريات والمبادئ العامة - اشخاص القانون الدولي النطاق الدولي - العلاقات الدولية الحرب والحياد، الاسكندرية (مصر): منشأة المعارف 2000، ص 917

³ سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، سورة البقرة آية 83.

2. الميثاق بعدم القتل والتشريد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ

أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: 84].

3. ميثاق بيان الحق وعدم كتمانها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ

وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

الفرع الثاني: الشواهد على نقض يهود المدينة العهد والميثاق.

أول آية ابتدأت الحديث عن بني إسرائيل طلب الله منهم فيها الوفاء بالعهود، فقال تعالى: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ النَّاسِينَ﴾ [سورة البقرة: 40]، وما ذلك إلا لبروز هذا المرض عندهم وشموله في جميع مناحي حياتهم، وتلبس جميع فرق بني إسرائيل به، "وَالْعَهْدُ هُنَا هُوَ الْإِلْتِزَامُ لِلْغَيْرِ بِمُعَامَلَةِ النَّزَامَا لَا يُقَرِّطُ فِيهِ الْمَعَاهِدُ حَتَّى يَفْسَحَاهُ بَيْنَهُمَا وَاسْتُعِيرَ الْعَهْدُ الْمُصَافُ إِلَى ضَمِيرِ الْجَلَالَةِ لِقَبُولِ مَا يُكَلِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ"، وقد بينت الآيات الكريمة ماهية العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني إسرائيل، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة: 83].

و"يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر، وأخذ ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً، وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: 25]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة النحل: 36] وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تعالى، أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين، وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين، وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله، أي: تركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به، إلا القليل منهم¹.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص317.

ومن خلال البحث والتحري في تاريخ بني إسرائيل الوارد في كتب التفسير وكتب السيرة النبوية يتجلى لنا العديد من المواقف التي تبين نقض بني إسرائيل العهد والميثاق، وهي:

أولاً: يهود بني النضير ونقضهم العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد صالح يهود بني النضير في المدينة على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما أُصِيبَ المسلمون يوم أُحُدٍ أخذ اليهود في الدس والوقيعة، والتأليب على المسلمين، وذهب زعيمهم كعب بن الأشرف إلى مكة فحالف قريشاً، واستحثها على حرب الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، واستئصال شأفتهم، وحين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منازل بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلتهما (عمرو بن أمية) وجلس إلى جنب جدار من بيوتهم، ينتظر وفاءهم، خلا بعضهم إلى بعض وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -خلق بال واطمئنان نفس- فمن رجل يعلو ظهر هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، ويريحنا منه. وحين أوشك اليهود على إنفاذ مكيدتهم ألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخطر المدبر له، فنهض متعجلاً وقفل راجعاً إلى المدينة. وشعر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمغيبه، فقاموا في طلبه، فإذا رجل مقبل من المدينة، يخبرهم أنه رآه يدخلها، فأسرعوا يلحقون به، فلما انتهوا إليه، أخبرهم بما كادت له يهود، فأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقتل كعب بن الأشرف فقتله رجل من المسلمين هو محمد بن مسلمة غيلة، وتأهب المسلمون وساروا لقتال بني النضير، فتحصن بنو النضير في مواقعهم، واستعدوا للحرب، وجاء المسلمون فحاصروا بني النضير إحدى وعشرين ليلة وقذف الله الرعب في قلوبهم، ويئسوا من نصر المنافقين، فطلبوا الصلح، فأبى الرسول إلا جلاءهم عن المدينة، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير واحد ما شاءوا من متاعهم فجلا أكثرهم إلى الشام والحيرة، وعمد اليهود إلى بيوتهم فخربوها لكيلا ينتفع المسلمون بها، وعمدوا إلى ما لا يستطيعون نقله من أثاثهم فدمروه، وكان نخل بني النضير لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاصةً أعطاه الله إياه وخصه به¹.

¹ ابن حنبل، أحمد، المسند، ط1، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001م، ج8، ص129، قال الشيخ شعيب إسناده صحيح.

ثانياً: نقض العهد من قبل يهود بني قريظة

طباع اليهود واحدة، فقد قام يهود بنو قريظة بنقض العهد بعد بني النضير بعام واحد، ولم يتعظوا بما وقع لإخوانهم بني النضير، فلجأوا بعد عام واحد إلى ما وقع فيه بنو النضير من غدر وخيانة، فحصل لهم مثل ما حصل لإخوانهم اليهود¹.

ويبين الخطاب القرآني في سورة البقرة على وجه الخصوص وفي القرآن الكريم على وجه العموم مواقف اليهود المتتالية في نقض العهد والميثاق، وهذا يظهر على مر العصور وعلى مر السنوات فتاريخ بني إسرائيل حافل بنقضهم العهود والمواثيق، قديماً مع أنبياء الله عز وجل، وحديثاً مع المسلمين في كافة الدول الإسلامية ومنها فلسطين، حيث يقول تعالى: ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: 100].

المسألة الثانية: تلبيس الحق بالباطل.

الفرع الأول: تعريف التلبيس والحق والباطل.

أولاً: معنى التلبيس: إظهار الباطل في صورة الحق. قال ابن كثير في تفسيره: "يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يتعمدونه، من تلبيس الحق بالباطل، وتمويهه به وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾" [سورة البقرة: 42]، أي: لا تخلطوا الحق بالباطل، والصدق بالكذب، فنهاهم عن الشينين معاً، وأمرهم بإظهار الحق، والتصريح به².

¹ انظر: هود محمد منصور قباص أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، رسالة: دكتوراه، قسم القرآن والحديث -أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملایا -كوالالمبور-ماليزيا، 1431هـ، ص296.

² ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، تلبيس إبليس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، 1421هـ، ص50.

ثانياً: معنى الحق: هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذهب باعتبار اشتغالها على ذلك، ويقابله الباطل¹.

ثالثاً: تعريف الباطل: هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله، ما لا يعتد به، ولا يفيد شيئاً، ما كان فائت المعنى من كل وجه، مع وجود الصورة؛ إما لانعدام الأهلية أو المحلية، كبيع الحر، وبيع الصبي².

والمقصود بتلبيس الحق بالباطل كمرض تلبس به بنو إسرائيل: قلب الأقوال والأحداث والحقائق الباطلة وجعلها في صورة الصواب، وكذا جعل كل ما هو صواب باطلاً لتلبساً على الناس واتباعاً لأهوائهم ومصالحهم، لذا نهاهم الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [سورة البقرة: 42]. والمعنى: "لا تخلطوا الحقَّ المُنزَّلَ بالباطل الذي تخرعونه وتكتبونه حتى يشبهه أحدهما بالآخر أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه أو تذكرونه في تأويله"³.

الفرع الثاني: صور من تلبيس اليهود الحق بالباطل

يوجد كثير من الصور التي يتجلى فيها تلبيس الحق بالباطل عند بني إسرائيل، وذلك من خلال النظر بالآيات القرآنية في سورة البقرة على وجه الخصوص والقرآن الكريم على وجه العموم، وهي:

1. قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَإِذْ

¹ الجرجاني، التعريفات، ج1، ص 42.

² الجرجاني، التعريفات، ج1، ص 42.

³ أبو السعود، تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج1، ص96.

أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ [سورة البقرة: 80-83]. وفي تأويل هذه الآيات الكريمة يقول ابن
كثير: "يقول تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم، من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً
معدودة، ثم ينجون منها، فرد الله عليهم ذلك بقوله: {قل أخذتم عند الله عهداً}، أي: بذلك؟ فإن كان قد
وقع عهد فهو لا يخلف عهده، ولكن هذا ما جرى ولا كان، ولهذا أتى ب"أم" التي بمعنى: بل، أي: بل
تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه"¹.

وقد ذهب الرازي إلى أن قولهم (لن تمسنا النار) هو: "نوع من قبائح أقوالهم وأفعالهم وهو جزمهم بأن الله
تعالى لا يعذبهم إلا أياماً قليلة"². فأى قبح هذا، وأي تلبيس هذا، بل وفيه افتراء على الله تعالى.

2. زعمهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ
هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة البقرة: 111-112].

لم تأت الشرائع على ذكر الجنة والنار إلا لمن اتقى أو عصى، أما بنو إسرائيل وانطلاقاً من أهوائهم وتقسيمهم
مصائر الناس جعلوا اليهودية سبباً من أسباب دخول الجنة، والعدول عنها سبباً من أسباب دخول النار، وهذا
زعم فيه قلب لحقيقة المصير الأخروي. وفي ذلك قال الرازي في تفسير الآية: "هذا نوع من تخطيط اليهود
وإلقاء الشبه في قلوب المسلمين، واعلم أن اليهود لا تقول في النصارى: إنها تدخل الجنة، ولا النصارى في

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 315.

² أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب
=التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ، ج3، ص556.

اليهود، فلا بد من تفصيل في الكلام فكأنه قال: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ولا يصح في الكلام سواه، مع علمنا بأن كل واحد من الفريقين يكفر الآخر¹.

ولذا كان الرد من الله تعالى على هذا الافتراء والتلبيس على الناس بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: 112]. ومعنى قوله "من أسلم وجهه" أن إسلام الوجه لله هو تسليم الذات لأوامر الله تعالى، أي شدة الامتثال؛ لأن أسلم بمعنى ألقى السلاح وترك المقاومة².

3. قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: 18].

وقد تضمنت الآية ادعاءين باطلين لبني إسرائيل: الباطل الأول الذي جعلوه حقيقة أنهم أبناء الله، والله بريء من أن يكون له ولد، ويصف الطبري ادعاءهم بقوله: "وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته"³.

وأما الباطل الثاني أنهم هم أحبائهم وأصفيائهم، وفندت الآيات ادعاءهم بأن لو كان صحيحاً فكيف يعذبكم الله؟

¹ الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج4، ص5.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 674.

³ الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج10، ص 450.

وهذه الآية امتداد لقلبهم الحقائق وجعل الباطل حقاً، ما دام الأمر في صفتهم. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: 94]. رد لدعوى ادعائها اليهود مثل قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ وإلى هذا مال القرطبي والبيضاوي¹.

وقد ذكر ابن كثير في تفسير الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا. قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه، فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافتراءكم².

وقد أوضحت لنا الآيات الكريمة كيف خلطت بنو إسرائيل الحق بالباطل، وادعت الباطل الذي هو مخالف للحق وأصول الدين الإسلامي والنصوص القرآنية، كما أنها ادعت أموراً لا يقبلها الدين الإسلامي أو العقل أو المنطق، مثل ادعائها أنهم أبناء الله، الأمر الذي يتعارض مع النصوص الدينية سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية التي توضح أن الله واحد لا شريك له، ولا ولد، ولذا جاء الرد من الله سبحانه وتعالى بأن توعدهم بالعذاب العظيم.

المسألة الثالثة: قتل الأنبياء

الفرع الأول: تعريف القتل

هو فعل يحصل به زهوق الروح، القتل العمد هو تعمد ضربه بسلاح أو ما يجري مجرى السلاح، وعندهما وعند الشافعي: ضربه قصداً بما لا تطيقه البنية، حتى إن ضربه بحجر عظيم أو خشب عظيم فهو عمد³.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 614.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 69.

³ الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 172.

الفرع الثاني: صور القتل عند بني إسرائيل.

إنَّ الأمة التي ميزانها أهواءها ومصالحها وإن كانت حقيرة ستستصغر أمامها كل شيء، حتى أعلى الناس منزلة وهم الأنبياء، لذا فإنَّ أمة بني إسرائيل من ديدنها مقابلة الأنبياء والقادة المصلحين بالتكذيب تارة، والقتل تارة أخرى. فلا ضير يا محمد صلى الله عليه وسلم وأنت تعاني من نقضهم العهود وخيانتهم ومحاولتهم قتلك فهم هكذا. وهذا المرض واضح جليٍّ أَكَّدَتْ عليه آيات القرآن الكريم ابتداءً من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: 87]، وسياق الآية نعتهم بالعناد والغلظة، وفي ذلك قال ابن كثير: "ينعت، تبارك وتعالى، بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء... فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة، ففريقا يكذبونه، وفريقا يقتلون، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأموال المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَآيَدْنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: 87]¹.

كما أَكَّدَتْ سورة آل عمران على ذلك، حيث قال تعالى مبيناً سبب الذل والغضب عليهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: 112]. "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فعلنا بهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ومعصيتهم ربهم، واعتدائهم أمر ربهم"².

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 322.

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج7، ص117.

المسألة الرابعة: النفاق

الفرع الأول: تعريف النفاق اصطلاحاً

ينصرف معنى النفاق إلى "إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"¹.

الفرع الثاني: صور النفاق عند بني إسرائيل

تجلى نفاق بني إسرائيل تجاه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾" [سورة البقرة: 76]، ففي قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة: "يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين"، قالوا آمنا كإيمانكم، وإذا خلا رجع، بعضهم إلى بعض -كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود- لأمرهم على ذلك.

قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما قص الله عليكم في كتابكم: أن محمداً حق وقوله صدق، و"المَقْصُودُ هُنَا وَصْفُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِبْهَامِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ وَلِقَائِهِمْ بِوُجْهِ الصَّادِقِينَ، فَإِذَا فَارَقُوهُمْ وَخَلَصُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَادَتِهِمْ خَلَعُوا ثَوْبَ النَّسْتَرِ وَصَرَّحُوا بِمَا يُبْطِنُونَ"².

وأما صاحب الكشف فقد أبان عن نفسية المنافق عندما يتلفظ بالإيمان في الظاهر أما إذا أصبح بعيداً عاد كما هو "إِنَّا مَعَكُمْ"، وقوله "إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم. فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بأن؟ «1» قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما، لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم، لا في ادعاء أنهم أوحديون

¹ الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 245.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 289.

في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد. وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة. وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل¹.

المسألة الخامسة: العنصرية

الفرع الأول: تعريف العنصرية اصطلاحاً

"تعصب المرء لنفسه، أو الجماعة للجنس"²، وهي عقيدة تستند إلى أسطورة مناقضة للدين الحق، والعلم الصحيح حول تفوق أو نقص هذه الأجناس، أو تلك، محاولة بذلك تبرير السياسة العدوانية ضد الكائن البشري التي تقوم على الاغتصاب والإرهاب والاستبعاد³.

الفرع الثاني: من صور العنصرية عند بني إسرائيل

من صور العنصرية لدى بني إسرائيل في القرآن الكريم اعتدادهم بالعنصر والجنس اليهودي وتمجيده، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: 111]، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره: "يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: {نحن أبناء الله وأحباؤه}، فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم"⁴.

¹ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الريان للتراث - القاهرة، 1987م، ج1، ص66.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص631.

³ أحمد بن عبد الله الزغبى، العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان - الرياض، (1418هـ / 1998م)، ج1، ص60.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص384.

وتوضح الآيات الكريمة اغترار بني إسرائيل بما هم فيه، ومن العجيب ذلك، أي على الرغم من كفرهم وقتلهم للأنبياء واستكبارهم وفعلهم لكل المعاصي والذنوب فإنهم يدعون أنهم سيدخلون الجنة، بل ويعتقدون بأنهم من سيدخل الجنة فقط، وهذا يدل على عنصريتهم لفرقتهم، ولملتهم، وما ذلك إلا أمنيات فقط، وإن لم تكن أمنيات فهاتوا برهانكم على ذلك.

المسألة السادسة: سفك الدماء .

الفرع الأول: التعريف بسفك الدماء

هو "إراقة الدم بغير حقّ من الحقوق المحلة للسفك، والسفك هو السفاح"¹.

الفرع الثاني: من صور سفك الدماء عند بني إسرائيل

من الشواهد التي تدلّ على الأمراض السلوكية لبني إسرائيل قتلهم المصلحين من الناس، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: 21]، وفي هذه الآية "ذَمٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، الَّتِي بَلَّغَتْهُمْ إِيَّاهَا الرُّسُلُ، اسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ وَعِنَادًا لَهُمْ، وَتَعَاظُمًا عَلَى الْحَقِّ وَاسْتِثْكَافًا عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَمَعَ هَذَا قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنَ النَّبِيِّينَ حِينَ بَلَّغُوهُمْ عَنِ اللَّهِ شَرْعَهُ، بِغَيْرِ سَبَبٍ وَلَا جَرِيْمَةٍ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، إِلَّا لِكُونِهِمْ دَعْوُهُمْ إِلَى الْحَقِّ ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ وَهَذَا هُوَ غَايَةُ الْكِبْرِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ (3) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ"²، وأما ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فمن العكس في الكلام الذي يقصد به

¹ زبادي، توفيق بن علي، علاج القرآن الكريم لسفك الدماء المعصومة: دراسة موضوعية، المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة -جامعة الملك خالد، م.2، 2016م، ص1097.

² ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص27.

الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه، كما يقول الرجل لعدوه: أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك"¹.

وليس غريباً على بني إسرائيل سفك الدماء في يومنا هذا، وقتل المسلمين الذين يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر، فقد قتلوا الأنبياء من قبل ذلك، وكلّ من خالف أهواءهم وعقائدهم التي هي بعيدة كل البعد عن العقيدة الصحيحة المنزلة من الله سبحانه وتعالى، عليهم لعائن من الله.

المطلب الرابع: الأمراض السلوكية الاقتصادية.

المسألة الأولى: المبالغة في حب المال وجمعه وأكله بالباطل.

وهذا ما يظهر عند أحبارهم ورهبانهم، فهذه الصفة الذميمة بينها سبحانه وتعالى في حقهم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة التوبة: 34].

وفي الظلال توضيح لذلك: "وأكل أموال الناس كان يتمثل في صور شتى وما يزال: منها ما يأخذونه على فتاوى تحليل الحرام وتحريم الحلال لصالح من يملكون المال أو السلطان، ومنها ما يأخذه القسيس أو الكاهن مقابل الاعتراف له بالخطايا وغفرانه -بالسلطان المخول للكنيسة بزعمهم- لتلك الخطايا ومنها الربا وهو أوسع أبوابها وأبشعها وغيرها كثير"².

¹ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص104.

² سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج10، ص1645.

المسألة الثانية: حبهم الشديد للربا والتعامل به

الفرع الأول تعريف الربا اصطلاحاً

هو "فضل خالٍ عن عوض شرط لأحد العاقدين"¹.

الفرع الثاني: الشواهد على أكل بني إسرائيل الربا

من الأمراض شديدة القبح التي تلبس بها بنو إسرائيل هو أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: 161]. ويبين الطبري بأن قوله تعالى "وأخذهم الربا" هو أخذهم ما أفضلوا على رءوس أموالهم، نظيراً للتأخير في الأجل بعد محلّها². وفي الآية الكريمة يخبر تعالى أن ظلم اليهود وما ارتكبه من الذنوب العظيمة كان سبباً في أن حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم، ومن هذه الذنوب تناولهم وأخذهم الربا على الرغم من نهيمهم عنه، حيث احتالوا عليه، وأكلوا أموال الناس بالباطل³.

ويتّضح بأنّ الأمراض التي أصابت بني إسرائيل لم تكن على المستوى العقائدي والفكري فقط، بل في كافة المجالات، ومنها: مجال المعاملات المالية، حيث التصقت ببني إسرائيل صفة ذميمة وهي أخذهم الربا الذي نهوا عنه، وأكل مال الناس بالباطل، وقد توعدهم الله بالعذاب الأليم في الدنيا وهي محق أموالهم، وفي الآخرة جهنم.

¹ الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 109.

² الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 9، ص 391.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 467.

المبحث الثاني: أسباب وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية

المطلب الأول: الأسباب الدينية الأخروية

عند النظر في الأسباب التي أوقعت بني إسرائيل في الأمراض السلوكية بشتى أنواعها، سواء العقيدية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الاقتصادية، فإننا نجد أن ذلك إنما يعود إلى فساد عقيدتهم لا سيما عقيدة التوحيد وعقيدة الأسماء والصفات وتنزيه الله عما لا يليق وعقيدة الإيمان باليوم الآخر، لذا فإن تعداد أسباب الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل، ابتداءً بالانحراف العقدي مروراً بقساوة القلوب وعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واتباعهم الهوى، إنما يأتي ذلك من باب التفصيل لتلك الأسباب.

الفرع الأول: الانحراف الفكري والعقائدي

يُقصد بالانحراف الفكري: المفاهيم والمعتقدات والاتجاهات التي تخالف الحق والشرع والعقل. وتمثل عند بني إسرائيل بالكفر والشرك وادعاء أن لله ولداً، وكل أمة لا تعي ما تقول، وتهرف بما لا تعرف، تصيبها لعنة الله، والسبب الرئيسي في ذلك هو الكفر، وفي سياق ذلك قال ابن عاشور: " بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ تَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ وَفَضَحَ لَهُمْ بَأَنَّهُمْ صَمَّمُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ مِنْ غَيْرِ النِّقَاتِ لِحُجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِاللَّعْنِ وَالْإِبْعَادِ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ فَحَرَمَهُمُ التَّوْفِيقَ وَالتَّبَصُّرَ فِي دَلَائِلِ صِدْقِ الرَّسُولِ، فَالْغَنَةُ حَصَلَتْ لَهُمْ عِقَابًا عَلَى التَّصْمِيمِ عَلَى الْكُفْرِ وَعَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ وَفِي ذَلِكَ رَدٌّ لِمَا أُوهِمُوهُ مِنْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ خُلِقَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْفَهْمِ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ كَسَائِرِ الْعُقَلَاءِ مُسْتَطِيعِينَ لِإِدْرَاكِ الْحَقِّ لَوْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ وَتَرَكَ الْمُكَابَرَةَ وَهَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَا الْجَبَرِيَّةِ"¹. وقد أشار إلى ذلك السبب قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: 78]. ومن الآيات التي توضح ذلك:

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 600.

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: 51]. أي اتخذتم العجل الذي صنعه السامريّ إلهاً، والذم فيه ظاهر لأنهم كلهم عبده إلا

هارون مع اثني عشر ألفاً¹.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ

أَجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلٌ مَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 138-139]، حيث "يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى،

عليه السلام، حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، {فأتوا} أي: فمروا (على قوم

يعكفون على أصنام لهم)، قال ابن جريج: كانوا يعبدون أصناما على صور البقر"².

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ

قَلْبَتُونَ﴾ [سورة البقرة: 116]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [٧٢] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ۚ وَمِنَ إِلَٰهِ إِلَّا إِلَٰهٌ

وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَتَنَبَّهُوا عَمَّا يُفُكُّونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ الْيَوْمِ﴾ [سورة المائدة: 72-73].

"وهذه المقولة الفاسدة: (اتخذ الله ولداً) ليست مقولة النصارى وحدهم في المسيح، فهي كذلك مقولة اليهود

في العزيز. كما كانت مقولة المشركين في الملائكة. ولم تفصل الآية هنا هذه المقولات، لأن السياق سياق

إجمال للفرق الثلاث التي كانت تناهض الإسلام يومئذ في الجزيرة -ومن عجب أنها لا تزال هي التي

¹ الألوسي، روح المعاني، ج 1، ص 259.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 467 بتصرف"

تناهضه اليوم تماماً، ممثلة في الصهيونية العالمية والصليبية العالمية، والشيعوية العالمية، وهي أشد كفراً من المشركين في ذلك الحين! ومن هذا الإدماج تسقط دعوى اليهود والنصارى في أنهم وحدهم المهتدون؛
وها هم أولاء يستوون مع المشركين"¹.

وفي الآيات الكريمات دلالة واضحة على الانحراف الفكري والعقائدي عند بني إسرائيل، وهذا الانحراف أدى بهم إلى الوقوع في الكثير من الأمراض السلوكية.

الفرع الثاني: قساوة القلوب

وصف الله عز وجل قلوب بني إسرائيل بالقسوة، وذلك في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [سورة البقرة: 74]. فأى قلب هذا الذي يقسو بعد معايشة معجزات الله المادية، وهذا "الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لثبوت قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميغ منها الجبال وتلين بها الصخور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع أن قلوبهم لم تنزل قاسيةً لما أن المراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وإما لأن الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمرٌ جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]. وهذا الوصف لهم بالقسوة أكدّه قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة: 13]، وقد ذكر في تأويل هذه الآية أن "ابن عباس رضي الله عنه قال: قاسية أي يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسية وهي الرديئة المغشوشة، وسبب قساوة قلوبهم كما قال الله عز

¹ قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 106.

وجل ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة:13] حيث " قيل: هو تبديلهم نعت النبي صلى

الله عليه وسلم، وقيل: تحريفهم بسوء التأويل"¹.

وقد بين ابن كثير أثر صفة قسوة القلب عند بني إسرائيل، فقال: "أي: فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها،

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: فسدت فهمهم، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه

على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، عياداً بالله من ذلك، قال الحسن: تركوا

عرى دينهم ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها، وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا

قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمه"².

ومما سبق يتبين أن قسوة القلوب كانت من الأسباب التي دفعت بني إسرائيل للوقوع في الأمراض السلوكية،

حيث كانت قلوبهم غليظة لا تلين ولا تقبل أي موعظة قد تهديهم للطريق الصواب، كما أن قلوبهم الخالية

من الإيمان بالله والتعلق به وتحريفهم للكتب السماوية والآيات المنزلة عليها كانت سبباً في وقوعهم في

الأمراض السلوكية أيضاً، حيث إنهم لم يقوموا بالتطبيق الصحيح للآيات والأحكام المنزلة عليهم فوقعوا في

كثير من الأمراض السلوكية.

الفرع الثالث: لا يأمرن بالمعروف ولا يتناهون عن المنكر

برزت موافقة بعضهم البعض على المنكر بل وتشجيعهم عليه في أكثر من موقف في سورة البقرة، ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة:14]، وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّاهُمْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:100]. وقد سطرت آيات سورة المائدة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه،

¹ البيهقي، الحسين بن مسعود، تفسير البيهقي، ط4، دار طيبة، 1997م، ج 3، ص31

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 66

وذلك في قوله تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ آلِ بْنِ إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» [سورة المائدة: 78]، حيث تبين الآية الكريمة أنَّ عصيان بني إسرائيل واعتدائهم وتجاوزهم حدود الله تعالى ارتبط بعدم تناهيهم عن فعلهم المنكرات، حيث ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية: «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ» [سورة المائدة: 79] ثم قال «لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» "للتعجب من سوء فعلهم، مؤكداً لذلك بالقسم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وقلة عبثهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب، فإن قلت: كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيراً للمعصية والاعتداء؟ قلت: من قبل أنَّ الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء، لأنَّ في التناهي حسباً للفساد فكان تركه على عكسه، فإن قلت: ما معنى وصف المنكر بفعله، ولا يكون النهي بعد الفعل؟ قلت: معناه لا يتناهون عن منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوَّى وتهياً فتنكر، ويجوز أن يراد: لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصبرون عليه ويدومون على فعله، يقال: تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه"¹.

أما ابن كثير فقد ذكر في تفسير الآية: "كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوا، فقال: «لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»"².

مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الواجبة في كل الديانات العظيمة، لما له من أهمية عظيمة في نشر الصلاح والسعادة بين الأمم، وترك الفساد، حيث إنَّ التذكير بالطاعات والعبادات للبعض يؤدي إلى اتباع الطريق الصحيح، وحين لا نجد من يأمر بالمعروف ويذكر الناس بطريق الحق، ومن لا

¹ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص667.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص160.

ينهى عن المنكر ويحذر الناس من طريق الباطل، نجد في ذلك انتشاراً للفساد في أرجاء البلد، والوقوع في الكثير من الأمراض مثل ما حدث مع بني إسرائيل.

الفرع الرابع: اتباع الهوى

كان انقياد بني إسرائيل لهواهم سبباً في العديد من الأمراض السلوكية التي أصابتهم، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَآيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَاكُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: 87]، "أي أنه وصفت بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب -وهو التوراة- فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها"¹.

ومتبع الهوى يتبع هواه لا ما أنزل عليه من الأحكام والجدود، والهوى يورث الضلال وينتج عنه الوقوع في الكثير من الأمراض والمعاصي، فوقع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية كان نتيجة اتباع أهواءهم.

المطلب الثاني: الأسباب الدنيوية

الإنسان مجبول على حب الدنيا ونعيمها، والاكتماب منها والدوام عليها، وقد زينها الله تعالى للخلق وبين الحلال من الحرام، وذلك من أجل الامتحان والاختبار، فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران: 14]، وهذه الدنيا لا يجوز أن تطغى على

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 321.

قلب المؤمن ولا أن تسيطر على حياته، لكن بني إسرائيل وقعوا في حبها، وجعلوها مقدسة على حساب الدين، فكان من الأسباب الدنيوية لأمرضهم السلوكية ما يلي:

الفرع الأول: حب السيادة

لقد أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة سرعان ما فقدوا أثرها؛ لأنهم حادوا عن طريق الحق ولم يمتثلوا لأوامر الله وأنبيائه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة:20]، فكانت نعمة السيادة من جملة النعم التي أولعوا وتفاخروا بها، غير أنهم فقدوها بسبب كفرهم وعنادهم وذنوبهم، الأمر الذي أدى إلى انحراف سلوكهم وأخطائهم، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَبَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:101]، وفي هذه الآية معنى واضح لسلوكهم الخاطئ في نبذ كتاب الله وراء ظهورهم، ولم يكن هذا السلوك الخاطئ إلا بسبب الحسد الذي تولد في أنفسهم لبعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم، فالسيادة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان حسب زعمهم، فكفروا بنبوة محمد وحاربوه وحاولوا قتله. وقد تجلّى حب السيادة عندما طلبوا من نبيّ لهم أن يختار قائداً من بينهم فاختر لهم طالوت قائداً، فاعترضوا عليه لأن معايير السيادة مختلفة تماماً، وهذا يتجلّى في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:247].

الفرع الثاني: الحب غير المحمود للمال.

هذه الصفة من الأسباب التي دفعت بني إسرائيل إلى محاولة اكتسابه بطرق غير مشروعة، وعدم أداء حق الله تعالى فيه، وقد تجلّت في بني إسرائيل، وذمّهم الله تعالى بسببها في كتابه وبين حالهم، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة:34]، وتشير هذه الآية إلى جشع بني إسرائيل وأكلهم حقوق الناس بالباطل، والرباط بين الآية الكريمة وبني إسرائيل هم الأحرار، حيث يفسر السدي الأحرار باليهود والرهبان بالنصارى¹.

ومع أنّ سورة البقرة لن تأت على ذكر هذا السبب بشكل مباشر إلّا أنّ جعل المال ميزان التفاضل بينهم فيه إشارة واضحة لمكانة المال العالية عندهم.

الفرع الثالث: العلو والاستكبار في الأرض

وهو سبب قديم جديد متجدد، ففي مقدمة سورة الإسراء يخاطب الله تعالى بني إسرائيل بقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء:4]، ويبين ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير أنّ العلو هنا مجاز في الطغيان والعصيان كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص:4]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِنِّي مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل:31]².

¹ السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، 1993م، ج2، ص54.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص30.

والعلو والتكبر سبب رئيس في الوقوع في المعاصي والذنوب، والتعالي على أحكام الله عز وجل، ورفض تطبيقها، وهذا ينتج عنه مخالفة أوامر الله عز وجل وبالتالي الوقوع في الأمراض السلوكية.

الفرع الرابع: الأنانية وحب الذات

يؤمن بنو إسرائيل بفوقيتهم وتفوقهم على غيرهم من الأمم، وذلك أن الله قد خصهم بالأنبياء والرسالات، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مِّلًّا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة: 20]، وقد دفعهم إيمانهم بأفضليتهم إلى العديد من الأمراض السلوكية كالكفر والجحود والإنكار، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 89-90].

الفرع الخامس: حب الدنيا والحرص على الحياة

يقول الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَلْتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: 96]، وقد أخبر الله في هذه الآية أنهم في غاية الحرص على الحياة، فقال: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، "ومن العجيب أنهم حريصون على أية حياة سواء كانت حياة طيبة أو سيئة¹، ويدل على ذلك أن

¹ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج3، ص609.

مفردة حياة جاءت نكرة، وهو ما يشمل عموم دلالتها، وهذا أدى إلى وقوعهم في الكثير من الأمراض السلوكية الناتجة عن حبهم وتعلقهم بالدنيا.

الفرع السادس: المادية عند بني إسرائيل

والتي تتجلى في أكل الربا والفساد في الأرض، وكنز الأموال، وتحريف كلام الجبار والافتراء عليه، وقتل الأنبياء بغير حق ومعاداة أهل الإيمان، ومن المعروف أن بني إسرائيل ماديون، وهذا جلي في ماضيهم، وواضح في كل معجزاتهم التي طلبوها، فهي مادية، مثل إحياء الميت، ورؤية الله جهرة، ومثال ذلك قصة قارون، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ﴾ [سورة القصص: 76]، وذكر ابن عاشور في تفسيره: "من دواعي تصلبهم في إعراضهم عن دعوته اعتزازهم بأموالهم"¹.

أي أن حبهم للأموال من الأسباب التي جعلتهم معرضين عن دعوة الحق، وسبباً في الوقوع بالأمراض السلوكية، كما أنه لا يخفى أن المادية والبعد عن الروحانية تتسبب في قسوة القلب وعدم التعلق بالآخرة، فينتج عن ذلك الوقوع في كثير من المعاصي والذنوب والأمراض السلوكية سواء كانت أمراضاً اعتقادية أو اجتماعية.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 20، ص 147.

الفصل الثالث

العقوبات التي ترتبت على وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية

الناظر في كتاب الله يجد أن أكثر الأمم ذكراً أمة بني إسرائيل، إضافة إلى النعم التي أنعمها الله عليهم من بين الأمم السابقة، وكان الأجدر بهم اتباع أوامر الله تعالى وهدى أنبيائهم، إلا أنهم كفروا بالله وكذبوا أنبياءه وقتلوا ونكثوا العهود معهم، "الأمر الذي أدى إلى استحقاقهم العذاب، حيث لم يجعلوا نعمة الله عليهم سبباً في إخلاصهم والإيمان به سبحانه وتصديق منهجه وتصديق الرسول الخاتم الذي ذكر عندهم في التوراة"¹.

ونتناول في هذا الفصل أهم العقوبات التي ترتبت على وقوع بني إسرائيل في الأمراض السلوكية وذكرتها سورة البقرة، وهي كالتالي:

المبحث الأول: العقوبات الدنيوية التي استحقها بنو إسرائيل.

المطلب الأول: الصاعقة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة البقرة: 55]، إن استحضار التاريخ بين موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل، وبيان عقوبة الصاعقة التي استحقوها لفسادهم وطلبهم من موسى رؤية الله كشرط للإيمان به هو خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أنهم "كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى، وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى، مع عظيم بلاء الله جل وعز عندهم، وسبوغ آلائه عليهم"².

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، ج1، ص 312.

² الطبري، جامع البيان، ج2، ص82.

وقيل: هم السبعون الذين خرجوا مع موسى فقالوا: أرنا الله جهرة فصعقوا بالصيحة وهم مدركون لها¹. وقوله: فأخذتكم الصاعقة: عقوبة لهم بسبب العجرفة وقلة الاكتراث بالمعجزات، وهي عقوبة دنيوية، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: 56]، وليس عقوبة استئنائية كصاعقة عاد وثمود².

المطلب الثاني: الرجز والعذاب والذلة والمسكنة

قال الله تعالى: "﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾" [سورة البقرة: 59]، والرجز في كتاب الله يعنى به العذاب وقيل الرجز الغضب، وقيل الرجز إما الطاعون وإما البرد، وروي عن سعد ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم»^{3 4}.

وجاءت عقوبة نتيجة لمخالفتهم أوامر الله تعالى، وعنادهم وتبديلهم لما طُلب منهم استكباراً واستهزاءً، ومعنى الآية: " اذكروا يا بنى إسرائيل -لنتعظوا وتعتبروا- وقت أن أمرنا أسلافكم بدخول بيت المقدس بعد خروجهم من التيه، وأبنا لهم أن يأكلوا من خيراتها أكلاً هنيئاً ذا سعة وقلنا لهم: ادخلوا من بابها راكعين شكرياً لله على ما أنعم به عليكم من نعمة فتح الأرض المقدسة متوسلين إليه -سبحانه- بأن يحيط عنكم ذنوبكم، فإن فعلتم ذلك العمل اليسير وقلتم هذا القول القليل غفرنا لكم ذنوبكم وكفرنا عنكم سيئاتكم، وزدنا المحسن منهم خيراً جزاء إحسانه، ولكنهم جحدوا نعم الله وخالفوا أوامره، فبدلوا بالقول الذي أمرهم الله به قولاً آخر أتوا به

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص159.

² انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص507.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام -باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. (2218)، ج:4، ص1737.

⁴ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 147.

من عند أنفسهم على وجه العناد والاستهزاء، ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^{٥٩}.".

كما أن عصيانهم كان سبباً في استجلاب الذلة لأنفسهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^{٦٠} [سورة البقرة: 61]، أي وضعت عليهم وألزموا بها شرعاً وقدرأ أي لا يزالون مستذلين، من وجدهم استذلهم وأهانهم وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكون، هم أصحاب النيات يعني الجزية، أي يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وضربت عليه الذلة وهو الذل أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية، وقيل المسكنة الفاقة¹.

المطلب الثالث: مسخهم قردة

أخبرت الآيات القرآنية عن مسخ طائفة من اليهود إلى قردة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَمَتْهُمُ الذِّنُّ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^{٦١} [سورة البقرة: 65]، واختلف العلماء هل المسخ حقيقي أم معنوي، وما عليه الجمهور أن الله مسخهم مسخاً حقيقياً وجسماً فكانوا قردة على الحقيقة²، "وتلك العقوبة كانت جزاء إمعانهم في المعاصي، وتأبيهم عن قبول النصيحة، وضعف إرادتهم أمام مقاومة أطماعهم، وانتكاسهم إلى عالم الحيوان لتخليهم عن خصائص الإنسان، فكانوا حيث أرادوا لأنفسهم من الصغار والهوان"³. فحين عصت القرية أمر الله عز وجل وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم⁴.

¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 181.

² انظر: الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 170.

³ الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ط 1، دار نهضة مصر، 1997-1998م، ج 5، ص 411.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 2، ص 188.

فاصطادوا يوم السبت ولم يمتثلوا لأوامر الله تعالى جهاراً نهاراً لقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ

الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [سورة البقرة: 40].

المطلب الرابع: أمرهم الله عز وجل بقتل أنفسهم

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ

فَقَتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]،

حيث يبين قول الله إخبار موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم، فجلس الذين عبدوا العجل

وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً،

فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت

له توبة¹.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 2، ص 156

المبحث الثاني: العقوبات الأخروية.

يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 86]، أي لا يفتر عنهم ساعة

واحدة، وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي ولا يجيرهم منه¹.

المطلب الأول: غضب الله عز وجل عليهم

يقول الله عز وجل: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة البقرة: 90]، ويعود

سبب غضب الله عليهم لكفرهم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من النبوة والكتاب عسى أن ينزل الله عليهم ، فكفروا بنبي الحق وبغوا عليه حسداً من عند أنفسهم على ما أنزله الله عليه من فضله، فبأؤوا بغضب على غضب، فصاروا أحقاء بغضب مرادف^[2]. قال ابن عباس: في الغضب على الغضب، فغضب عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله إليهم، ومعنى {بأؤوا} استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب، وقيل غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، كما قيل أن الغضب الأول هو حين غضب عليهم في العجل، وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم³.

المطلب الثاني: لعنة الله عليهم

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: 88].

استحق بنو إسرائيل لعنة الله عليهم وطردهم من رحمة في الدنيا والآخرة لما اقترفوا من معاصي وآثام مركبة، وأفعال تعجز البشرية عن فعلها مجتمعة، إضافة إلى كونهم اختارهم الله وفضلهم وجعل منهم الأنبياء والملوك، ورغم ذلك جحدوا واستكبروا وقتلوا الأنبياء، وأرادوا أن يتنصّلوا من فعلتهم فنسبوا السبب إلى أن

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 232.

² انظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص165.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 232.

قلوبهم مغلقة لا تقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عذر أقبح من ذنب. قال ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 88] تَسْجِيلٌ عَلَيْهِمْ وَقَضْحٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَمَّمُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ لِحُجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِاللَّعْنِ وَالْإِبْعَادِ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ فَحَرَمَهُمُ التَّوْفِيقَ وَالتَّبَصُّرَ فِي دَلَائِلِ صِدْقِ الرَّسُولِ، فَاللَّعْنَةُ حَصَلَتْ لَهُمْ عِقَابًا عَلَى النَّصْمِ عَلَى الْكُفْرِ وَعَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ وَفِي ذَلِكَ رَدٌّ لِمَا أُوهِمُوهُ مِنْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ خُلِقَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْفَهْمِ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ كَسَائِرِ الْعُقَلَاءِ مُسْتَطِيعِينَ لِإِدْرَاكِ الْحَقِّ لَوْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ وَتَرَكَ الْمُكَابَرَةَ وَهَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَا الْجَبَرِيَّةِ"¹.

وقد ورد اللعن في القرآن الكريم في واحد وأربعين موضعاً، وقد استحق اليهود منها ما يقارب العشر، فكانوا بذلك أكثر من استحق اللعن في القرآن الكريم، وإن دل ذلك فإنما يدل على كثرة سلوكهم الخاطئ الذي يوجب تلك العقوبة الكبيرة.

المطلب الثالث: نار جهنم

في قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة البقرة: 90] جاء في سياق ترتيب العقوبات على بني إسرائيل ومنها العذاب المهين، وقد بينت آيات سورة الإسراء أن جهنم عذاب للكافرين، حيث يقول الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 8]، والمعنى: "وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم، عذاب من الله، إما في الآخرة، وإما في الدنيا والآخرة، (مهين) هو المذل صاحبه، المخزي، الملبسه هواناً وذلة"². "وسمي مهيناً لأنه يذل الكافر فلا يخرج من ذلته أبداً. فأما العذاب الذي يعذب به أهل الكبائر فليس بمهين لأنه يتخلص منه برحمة الله وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. ووصف الله العذاب بالمهين يدل على أن

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص600.

² الطبري، جامع البيان، ج2، ص347.

ثم عذاباً غير مهين، وهو ما ذكرنا"، ويومئ هذا إلى أنّ عقابهم في الدنيا ليس مقصوداً على ذنوب الكفر، بل هو منوط بالإفساد في الأرض وتعدّي حدود الشريعة، وأما الكفر بتكذيب الرسل فقد حصل في المرة الأخيرة فإنهم كذبوا عيسى، وأما في المرة الأولى فلم تأتهم رسل ولكنهم قتلوا الأنبياء مثل أشعياء، وأرمياء، وقتل الأنبياء كفر¹.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص39.

الفصل الرابع

قواعد سبل الوقاية من الأمراض السلوكية التي تلبس بها بنو إسرائيل

لقد بينا فيما سبق الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل، والتي بينها الله تعالى في سورة البقرة وغيرها، ويأت هذا البيان في كون القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية ورأس منهج حياتها، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24]، لذلك فإنه يتوجب على الدراسة أن تتدبر تلك الأمراض التي وقع بها بنو إسرائيل، وتقف على طرق اجتنابها والوقاية منها، ووضع العلاج المناسب لمن أخطأ ووقع بها.

لذا يهدف هذا الفصل إلى الوقوف على سبل وقاية الأمة الإسلامية من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من أمراض سلوكية دينية ودنيوية، فحديث القرآن الكريم عن أمراضهم في أطول سورة في القرآن ليس من باب تتبعها وفضح تمردهم على الله وسوء أدبهم مع رسل الله عليهم السلام، بل من باب تحذير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أن يحذو حذوهم.

وبعض تتبع سبل الوقاية من الأمراض وطرق علاجها وجد تداخل كبير فيما بينهما، وبعد النظر والتحليل وجد أن عرضها مجتمعة مع بعضها البعض وفق قواعد محددة، تمثل بمجموعها طرق الوقاية والعلاج، سيما بعض الآيات والأحاديث التي تعالج الأمرين.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه القواعد قد تعالج مرضاً واحداً أو أكثر من مرض، لأن بعض الأمراض هي في جانب وجداني عقدي قلبي، وبعضها في جانب عقدي فكري، وبعضها في جانب سلوكي تشريعي، فمن خلال هذه القواعد ستحاول الدراسة تشكيل منظومة ومحددة، ينطلق من خلالها أصحاب التخصص في التصدي لمثل هذه الأمراض، خاصة وأن من هذه الأمراض غير مقتصرة على أمة بني إسرائيل إنما قد تتلبس بها فرقة ممن تنتمي لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ويمكن القول أن تفعيل الشريعة الإسلامية عقيدة وشريعة ومنهج حياة هو الخط العام للقواعد الآتي بيانها،
مع خصوصية الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل في سبل الوقاية منها.

المبحث الأول: قواعد سبل الوقاية من الأسباب الدينية لأمراض بني إسرائيل السلوكية

القاعدة الأولى: تعزيز جانب الإيمان بالله، والعمل بمقتضاه

الإيمان بوحداية الله، وصيانة كتبه، والإيمان برسله وعدم التفريق بين الأنبياء، اليوم الآخر، مراقبة الله (أسماء الله وصفاته)، ضعف الإيمان، الجهل بآثار الكفر والشرك والنفاق في الدنيا والآخرة.

تعتبر هذه القاعدة من أصول القواعد في حماية المجتمع المسلم من الوقوع فيما وقع به بنو إسرائيل، لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، من القضايا التي تجازها بنو إسرائيل كثيرا، فنعتهم القرآن سيما سورة البقرة بالكفار والمشركين بسبب أمراض كثيرة، منها عبادة العجل، والتحايل على أمر الله في الصيد يوم السبت، وادعائهم بأن قلوبهم غلف، وسوء أدبهم مع الله كما في قصة البقرة، وقلة تقديرهم للأنبياء وما حملوه من معجزات وكتب سماوية، وتحريفهم للتوراة التي هي كلام الله، ونسبة ما حرفوه إلى الله تعالى! كل ذلك دلّ على خلل في أركان العقيدة.

وقد اعتنت سورة البقرة بموضوعاتها بضرورة الإيمان بالله تعالى وتفعيل مقتضياتها، من ضرورة الإيمان بوحدايته وعدم الإشراك به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٤﴾ [سورة البقرة: 21-24].

فالتوجه إلى الله بالعبادة يتطلب ألا نجعل معه ندا نعبد مع الله فنكون ممن أشركوا بالله، لأن حقيقة الخلق والوجود تقتضي إفراد الخالق بالوحدانية، مما يعني ذلك وجوب صدق التوجه مع الاعتقاد الجازم بالوحدانية، ولذلك قال الألوسي: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا نَهَى مَعْطُوفٌ عَلَى -اعبدوا- مترتب عليه فكأنه قيل: إذا وجب

عليكم عبادة ربكم فلا تجعلوا لله ندا وأفردوه بالعبادة إذ لا رب لكم سواه وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات بعد تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوجدانية واستحالة الشركة والإيدان باستتباعها لسائر الصفات¹.

ثم إن تواعد الآيات لمن يشرك بالله بعذاب جهنم ربط أفعال العباد بآلاتها يوم القيامة، دعوة للناس جميعا؛ بنو إسرائيل وأمة محمد صلى الله عليه وسلم، بأن من يتلبس بما تلبس به الكافرون من أمراض فيناله عقوبة مثل عقوبتهم أو أشد.

وقال الشوكاني في تقرير الخطاب بالوجدانية في سورة البقرة: "لِمَا اخْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا يُثْبِتُ الْوَحْدَانِيَّةَ وَيُبْطِلُ الشِّرْكَ عَقْبُهُ بِمَا هُوَ الْحُجَّةُ عَلَى إِثْبَاتِ نُبُوءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَدْفَعُ الشُّبْهَةَ فِي كَوْنِ الْقُرْآنِ مُعْجَزَةً، فَتَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ سُورَةِ²".

ولو طفنا في كامل سورة البقرة سنجد من التعاليم التي تجعل من أركان العقيدة خطايا واضحا، فما سورة آية الكرسي علينا ببعيد، وما أواخر سورة البقرة إلا لكون الأمر ضروري جدا، لأن السبب الرئيس من أسباب تلبس بنو إسرائيل أمراضهم الكثيرة هو الخلل الواضح في العقيدة بكامل أركانها، وهي دعوة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن يحافظوا على صفاء عقيدتهم ونقاؤها من الشوائب، والتحذير من أن يحذو حذو بني إسرائيل مع ربهم ونبيهم وكتابهم لذا فإن أول آية تصدرت في سورة البقرة سلامة إيماننا من الريب تجاه القرآن.

¹ الألوسي، روح المعاني، ج1، ص192.

² الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط1، دار الكلم الطيب - دمشق، 1414هـ، ج1، ص62.

ولتعزيز الإيمان بالله دور في حماية الأمة من الوقوع بما وقع به بنو إسرائيل، ومن ذلك:

1. ثبات المؤمن على الطريق المستقيم، فصحة الطريق في صحة المعتقد، فهناك آيات كثيرة وأحاديث

عديدة بيّنت أن من آثار صحة المعتقد الثبات على الطريق المستقيم، ففي قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم: 27].

قال ابن عاشور: "ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها أن الله يسر لهم فيهم الأقوال الإلهية على وجهها وإدراك

دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم ولم يخامرهم فيها شك فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزين وعاملين

بها غير مترددين. وذلك في الحياة الدنيا ظاهر، وأما في الآخرة فيالقائهم الأحوال على نحو مما علموه في

الدنيا، فلم تعترهم ندامة ولا لهف. ويكون ذلك بمظاهر كثيرة يظهر فيها ثباتهم بالحق قولاً وانسياقاً"¹.

2. تربي المؤمن على مراقبة نفسه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فيكون دائم التواصل مع الله،

يحاسب نفسه صباح مساء، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا

تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الانفطار: 10-12]، تعطيه همة نحو حسن مراقبة الذات وأن لا يدخل إيمانه دخن،

كدخن النفاق والكذب والتحايل على الله. قال الطبري: "وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يقول: وإن عليكم

رُقباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويُخصونها عليكم. وقوله: ﴿كَرَامًا كَتِيبِينَ﴾ يقول: كراما على الله

كاتبين يكتبون أعمالكم...، وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير

أو شرّ، يحصون ذلك عليكم"².

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص226.

² الطبري، جامع البيان، ج24، ص271.

3. صناعة المسلم لا يخاف في الله لومة لائم، مهما واجهه من تحديات، وظهرت أمامه مغريات الدنيا من النساء والمال والجاه والسلطان والمنصب التي تجعله يحيد عن عقيدة التوحيد، فعقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر تجعله يعلم يقيناً بأن بعد حسن الأخذ بالأسباب فإن الأمور بين يدي الله، فلا ضير، ولا خنوع، ولا ذل للعباد، بل ثبات في الحياة وفي الممات، وما قصة سحرة فرعون مع فرعون لما آمنوا ببعيدة، فقد سجل القرآن الكريم لنا موقف عزة وثبات وأن لا خوف ما دمت في كنف الله، في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ لَأَقْطَعَ أَيْدِيَكُمْ وَأَجْلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ٥٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّا نَظْمُعُ أَنْ يَعْفَرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٦١﴾ [سورة الشعراء: 49-51]. "إذا وقع الإيمان في القلب موقعا صحيحا، وجاء إليه عن حجة قاطعة، وبرهان ساطع، لم تستطع قوى الأرض كلها مجتمعة أن تنتزع هذا الإيمان، أو تزحزحه من موضعه، وبهذا الإيمان يلقي السحرة تهديد فرعون ووعيده في استخفاف، وغير مبالاة إن كل شيء هين، ما داموا قد حصلوا على الإيمان، وأنزلوه هذا المنزل المكين من قلوبهم.. قَالُوا: لَا ضَيْرَ: أي لا ضيم، ولا خسران علينا، إذا ذهب من بين أيدينا كل شيء، ولو كانت حياتنا، وسلم لنا إيماننا الذي أشرقت شمسُه بين جوانحنا، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: فلتذهب هذه الحياة غير مأسوف عليها.. فإن لنا حياة أخرى، أفضل، وأكرم.. إنها حياتنا الآخرة.. والآخرة خير وأبقى" ¹.

القاعدة الثانية: تفعيل منظومة الأخلاق الإسلامية وبيان دورها في مجاهدة النفس

القارئ لسورة البقرة من أولها إلى آخرها يجد أنها ذكرت قضايا متعلقة بالأخلاق وذات صلة بموضوع السورة وهو استخلاف الله المؤمن على هذه الأرض، حيث بدأ السورة بذكر صفات المتقين مدحاً، والمنافقين ذماً وتحقيراً، وقبل شروع السورة ببيان نعم الله على بني إسرائيل هيئت السورة الأجواء بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

¹ الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر - القاهرة، ج 10، ص 89.

لَا يَسْتَجِئُ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ^ط
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة البقرة: 26-27].

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: 27]. كلها أمراض سببها غياب منظومة الأخلاق وإحلال منظومة المصلحة
مكانها، كبراً وعناداً!

ولذلك بين الشيخ الزحيلي أنَّ من أسباب خسرانهم نقض أصول القضايا ومنها في الأخلاق، حيث قال: "وهم
في النهاية الخاسرون في الدنيا بافتضاحهم وتخبطهم وخزيهم، وفي الآخرة بالعذاب الأليم وغضب الله عليهم،
فلا سعادة لهم في دنياهم وأخراهم، لأنهم استبدلوا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، والنار بالجنة، والنقض
بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب"¹.

ثم لو أتينا مروراً على قصة آدم ورفض إبليس السجود له بناء على طلب الله، نجد السبب الحقيقي وراء
الرفض هو الاستكبار والغرور والتعصب للذات والجنس، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 34]، "والتكبر أن يرى الشخص نفسه
أكبر من غيره وهو مذموم وإن كان أكبر في الواقع، والاستكبار طلب ذلك بالتشبع، وقدم الإباء عليه وإن
كان متأخراً عنه في الرتبة لأنه من الأحوال الظاهرة بخلاف الاستكبار فإنه نفساني"².

¹ الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ط1، دار الفكر - دمشق، 1991م، ج1، ص113.

² الألوسي، روح المعاني، ج1، ص232.

ثم استهلّت آيات سورة البقرة في الحديث عن بني إسرائيل بأن يوفوا بعهدهم مع الله، في قوله تعالى: ﴿يَبْنَ

إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ فَارْجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: 40]، لأنّ

الوفاء بالعهد يقتضي القيام بكل ما أمروا به واجتناب كل ما نهوا عنه، "ووجه الخطاب هنا إلى بني إسرائيل وهم أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة، وذلك لأن هذا القرآن جاء يهدي للتي هي أقوم فكانت هاته السورة التي هي فسطاطه مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله، وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبدع الأساليب وأكمل وجوه البلاغة فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب وآثار هديه وما يكتسب متبعوه من الفلاح دنيا وأخرى، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه ويتنكب طريقه"¹.

وهكذا حتى نصل إلى نهاية السورة، فمنظومة الأخلاق فيها متجذرة سيما تلك التي بين العبد وربّه وبين العبد ومجتمعه، لذا فإن تفعيل منظومة الأخلاق الإسلامية في مجتمعنا اليوم هو الحصن المنيع أمام مغريات الحياة الدنيا وزينتها، والنفس وشهواتها، ومن أبرز ما يظهر من دور للأخلاق في حماية المجتمع المسلم من أمراض بني إسرائيل، وتعزيز وجودها الآتي:

1. بناء الشخصية الإيجابية سواء على المستوى الشخصي أم على المستوى المجتمعي، وسواء في مجال العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، فالصدق والعدل والأمانة والرحمة والتعاون والإخلاص، وغيرها، كلها إذا اجتمعت في شخصية الإنسان المؤمن الواثق بربه، فإنه يعني بناء المجتمع وفق أساس متين، قائم على أساس التماسك المجتمعي ونبذ كل أسباب الفرقة، فعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"².

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص447.

² مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص1999.

فمن أمراض بني إسرائيل التي كان سببها فقد الأخلاق الاستكبار والتعالي عن الآخرين وغياب التواصل، فهم يرون أنفسهم أنهم المهتدون، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: 135]، لذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نبذ التعصب للقبيلة أو البلد، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "فلا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، فالناس سواسية " إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

2. بث الثقة بين الناس وزيادة قوة الرابطة المجتمعية بين أفراد المجتمع، فالمحبة والمودة وحسن التواصل مع الآخرين وفق الأخلاق الحميدة، ونصح بعضهم البعض، فإن ذلك يزيد من لحمة المجتمع، فإذا برزت ظاهرة ما غير سوية فإنهم يسارعون إلى نصح بعضهم البعض دون تجريح أو تخوين، قال تعالى: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، قال الزمخشري: "لَوْ كُنْتُ فَظًّا جَافِيَا غَلِيظَ الْقَلْبِ قَاسِيهِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ حَتَّى لَا يَبْقَى حَوْلَكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ"¹.

أما بنو إسرائيل فقد كانوا ينصحون بعضهم البعض وفق إطار تحقيق المصلحة الشخصية دون مصلحة مجتمعهم، فقوله تعالى حينما فضحهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: 76]، وقد ذهب الزمخشري إلى أن الآية في منافقي اليهود زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله: "وَإِذَا لَقُوا يَعْنِي الْيَهُودَ قَالُوا قَالَ مُنَافِقُهُمْ: آمَنَّا بِأَنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الرَّسُولُ الْمُبَشِّرُ بِهِ وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَنَافِقُوا إِلَى بَعْضٍ الَّذِينَ نَافَقُوا قَالُوا عَاتِبِينَ عَلَيْهِمْ اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِمَا بَيْنَ لَكُمْ

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 431.

في التوراة من صفة محمد. أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم: أتحدثونهم، إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فيناقون المؤمنين وينافقون اليهود¹.

3. وئد العداوة والبغضاء بين الناس، لذا فقد ذهب الطبري إلى القول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ

الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: 34]: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادفع يا محمد

بحلمك جهل من جهل عليك، ويعفوك عن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم^[2].

كل ذلك صيانة للفرد والمجتمع بخلاف ما حصل مع بني إسرائيل عندما قتلوا فريقاً منهم، وأخرجوهم من ديارهم! وعاونوا على إخراجهم ظلماً وفساداً وعدواناً.

القاعدة الثالثة: تفعيل الخطاب العقلي الناقد للسلوك الخاطئ تجاه المجتمع المسلم

ويقصد بالخطاب العقلي: هو الكلام المبني على البراهين المنطقية التي تخاطب العقل بقصد الإفهام والإدراك، مما يدعو عقله إلى التفكير والاعتبار³.

وقد خاطب الله تعالى بني إسرائيل في أكثر من موضع خطاباً قائماً على الأدلة المادية الدامغة، والبراهين الكاشفة للعقل في إدراك موقفه من القضية المتنازع عليها، وما قصة البقرة في سورة البقرة إلا الدليل الواضح على تعنت بنو إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام، حتى عند ذبح البقرة وطلب ضرب بعضها بجسد الميت وإحيائه، فعلى الرغم من هذا الدليل المعجز إلا أن بني إسرائيل حكموا أهواءهم ومصالحهم وغيبوا

¹ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص156.

² الطبري، جامع البيان، ج21، ص471.

³ ينظر: العوفي، ليلي بنت حميد بن محمد. (2021). الخطاب العقلي في السنة النبوية، مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية، ع، 12، ص12.

صوت العقل وإدراكه للحقيقة الفاضحة لهم، ففي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوا بِعَصَاهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤﴾ [سورة البقرة: 73-74]، مشهد واضح لتغيبهم لغة العقل وتغليب لغة العناد والاستكبار عنادا من عند أنفسهم وقلوبهم القاسية.

وفي المقابل عندما طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى، حتى إذا شاهد ذلك إبراهيم عليه السلام سلم أمره لله تعالى، فشتان شتان بين أمة وبين نبي كان أمة، وفي قوله تعالى مصداق ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣١﴾ [سورة البقرة: 260].

لذا فإن تفعيل الخطاب العقلي بالأدلة البراهين التي تجعل المسلمين في حصانة عقلية من الشبهات والشهوات، يعني ذلك حماية مجتمعنا المسلم من تلك الأمراض الناتجة عن فقدان مثل هذا الخطاب، لأن التفكير لم يوجد لذاته بل لما يترتب عليه من نتائج، وفي ذلك قال ابن عثيمين: "التفكير: هو أن يعمل الإنسان فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به -أي بالتفكير- وحث عليه في كتابه، لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين"¹.

والخطاب العقلي يضع المسلم أمام موازين دقيقة من سلكتها لا يحيد عن سكتها، لذا نجد القرآن الكريم كثيرا ما وظيفه في حسم الخلاف سيما العقدي، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

¹ العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر-الرياض، 1426هـ، ج1، ص576.

سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ [سورة

القصص:72]، وقد نبّه على ذلك الألوسي بقوله: "واستدل على أن التارك للتفكر في نفسه أجهل وأسوأ حالا

من التارك للفكرة في غيره بقوله سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة

الذاريات:20-21]، فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات وأنكر على من لا

يتبصر في نفسه إنكارا مستأنفا والله تعالى أعلم بأسرار كلامه¹.

القاعدة الثالثة: بث الوعي بمآلات تلبس الأمراض السلوكية التي تلبسها بنو إسرائيل

بعد تتبع الأمراض التي نصت عليها سورة البقرة تجاه بني إسرائيل، نجد أن الآيات لا تنفك عن ذكر مآلات

تلك الأمراض، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة البقرة:65]، فمرضهم تجاوز حدود الله وعدم التزامهم طاعته، تقدما للمصلحة المادية

الدنيوية على أمر الله! قال الطبري: "يَقُولُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ صَادُوا السَّمَكَ، فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرَدَةً بِمَعْصِيَتِهِمْ"²،

وهناك الكثير من الأمراض التي كانت سببا لجلب غضب الله عليهم ولعنة الله، واستحقاق عذاب جهنم في

الآخرة.

فمثل هذا الخطاب بما تؤدي إليه سيكون رادعا لكل من يفكر أن يقوم بما قام به بنو إسرائيل، وفي المقابل

بث الوعي بما ستكون عليه من نتائج مرضية في حال التزام المسلمون أمر الله ونبذوا كل من تسول له نفسه

الخروج عن حدود الله.

القاعدة الرابعة: مقاطعة من يعملون على نشر الرذيلة والعنف واستحلال حرمة المسلم

¹ الألوسي، تفسير الألوسي = روح المعاني، ج4، ص224.

² الطبري، جامع البيان، ج2، ص61.

إن مبدأ مقاطعة أصحاب الرذائل ومن يستحلون دماء المسلمين ويشيرون العنف، نصت عليه آيات كثيرة وأحاديث عديدة، وهو مبدأ جاء في بداية الدعوة الإسلامية عندما طلب الله تعالى من المؤمنين اعتزال أولئك الذين يخوضون في آيات الله كفراً وإنكاراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِذَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: 68]، وفي ذلك يوضح القرطبي الآية بقوله: 'فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَهِيَ الْقُرْآنُ بِالنَّكَذِيبِ وَإِظْهَارِ الْإِسْتِخْفَافِ إِعْرَاضًا يَفْتَضِي الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ وَإِظْهَارَ الكراهة لما يكون منهم إلى أَنْ يَنْزَكُوا ذَلِكَ وَيَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلَيْنَا تَرْكَ مُجَالَسَةِ الْمُلْحِدِينَ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ عِنْدَ إِظْهَارِهِمُ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ وَمَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا لَمْ يُمْكِنَّا إِنْكَارُهُ وَكُنَّا فِي تَقِيَّةٍ مِنْ تَغْيِيرِهِ بِالْيَدِ أَوْ اللَّسَانِ'¹.

لأن مقاطعة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم تعمل على حصر أولئك الناس وعدم انتشار فكرهم وسلوكهم في المجتمع، فينبذهم المجتمع، فهناك من الشباب من لا يستطيع الصبر والتحمل في حال عاش مع أصحاب الشهوات والرذائل.

وعند حديث القرآن عن أمراض بني إسرائيل كان كثيراً ما يستثني فريقاً منهم أو فئة منهم، لأنهم لم ينغمسوا بما أوقع بهم أكثرهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة: 83]، قال الشيخ

¹ الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن للجصاص، ط1، دار الكتب العلمية، ج3، ص3. المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين.

حوى: "أي تركوا كل ما أمروا به ونهوا عنه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عمد، بعد العلم به إلا القليل منهم"¹.

لذا فإن الله توعّد العلماء في حال تقاعسوا عن واجبههم بفضح أصحاب الرذائل ووجوب مقاطعتهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة: 63]، قال ابن جرير: "وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشدّ توبيخاً للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها"².

القاعدة الخامسة: وجوب العمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدعوة والتغيير والمحافظة على المجتمع من الوقوع في الفواحش والكبائر، فقد ذمّ الله تعالى بني إسرائيل أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، كما في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: 78-79]، لذا فشا فيهم الفساد، وانتشرت بينهم الكبائر، وقلّ فيهم الوازع الديني حتى أصبح الحق باطلاً والباطل حقاً فاستحقوا اللعن والطرّد من رحمة الله، وفي سياق ذلك قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَعَنَ الْكَافِرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ دَهْرٍ طَوِيلٍ، فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى دَاوُدَ نَبِيِّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ لِلَّهِ وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَى خَلْقِهِ"³.

¹ حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام-القاهرة، 1424هـ، ج1، ص176.

² الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان، ج10، ص449.

³ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص160.

وقد مدح الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: 110]، وهو واجب على الأمة سيما علماءها وفي ذلك قال ابن عاشور: "الآية أوجبت أن تقوم طائفة من المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أن الأمر والنهي من أقسام القول والكلام، فالمكلف به هو بيان المعروف، والأمر به، وبيان المنكر، والنهي عنه"¹، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد عليه وفق مراتب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»².

والتذكير بالارتباط الوثيق بين أفضلية هذه الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأهمية بمكان، حتى لا تضعف الهمم وتتقاعس النفوس، وتتمثل أهمية هذه الرابطة في كون "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمان للمجتمع وللأفراد وفي وجوده نشر للقيم والآداب الإسلامية الفاضلة، وهو سبب للأمن بين الناس وبه يحفظ الإسلام وطهارة الباطن من الرذيلة وسوء الأخلاق، وهو سبب للنصر والتمكين في الدنيا والآخرة"³.

وعند تفعيل هذه القاعدة فإن الأمة بمجمعاتها تجني ثماراً كثيرة من أهمها:

1. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصنع رأياً مجتمعياً عاماً يقف كصخرة أمام تجاوزات الأفراد أو بعض الجماعات، فيؤخذ بالأمة إلى بر الأمان.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص41.

² مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص69.

³ الحازمي، ماجد بن عبد الله، الهدايات التربوية من آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة التوبة وأهميتها في تعزيز الأمن الفكري، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع173، ج2، 2017م، ص409.

2. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمثابة تكافل اجتماعي يقف القوي مع الضعيف والغني مع الفقير، والعالم مع غير المتعلم، وهكذا، فلا تسمع أصواتاً ناشزة هنا وهناك.

3. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إعطاء فرصة لمن تلبس بالأمراض مهما كانت بأن يتوب ويعود إلى الله جلّ في علاه، وأن يساهم في صناعة محاضن تربية لمن حاد عن الصراط المستقيم فيناقش ويحاور بدل أن يعيش بفكرة لا ترضي الله ويموت عليها.

قال ابن تيمية: "وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً، إذ الإنسان ظلم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر"¹.

لذا يجب على الأمة أن توجد طائفة منها تجعل منها بوصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات.

القاعدة السادسة: تفعيل الدور الأسري سيما الوالدين في وأد منابت الانحراف السلوكي

ليس غريباً أن يكون للأسرة دور في حماية أفرادها من الوقوع في براثن المعاصي، وأحوال الانحراف الأخلاقي والسلوكي، والحفاظ على بوصلته عقيدتها، لذا وفي سورة البقرة هناك نموذج متابعة رب الأسرة لأفرادها حتى بعد وفاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ

¹ ابن تيمية، تقي الدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1418هـ، ص26.

مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ [سورة البقرة: 132-133].

حرص إبراهيم عليه السلام الذي امتد إلى يعقوب عليه السلام فذريته الذين عاهدوا آباءهم على المضي قدما نحو عقيدة التوحيد، والاستسلام المطلق لأوامر الله جل في علاه، وهذه الصورة ينبغي أن تكون في كل بيت من بيوت المسلمين، يتابعون أبناءهم في القضايا الدينية كما يحرصون اليوم على متابعتهم في شؤون حياتهم الدنيوية، وعند الموت تكون وصية الأب أبلغ وأدعى للاهتمام، ولذلك أشار ابن عاشور بقوله: "وهذه الوصية جاءت عند الموت وهو وقت التعجيل بالحرص على إبلاغ النصيحة في آخر ما يبقى من كلام الموصي فيكون له رسوخ في نفوس الموصين"¹.

وأمام هذه القامات الربانية التي اهتمت بأبنائها وأحفادها وأحفاد أحفاده، وأمام هذه المتابعة لهم في مجالات الحياة سيما العقدية، يجب على أمة الإسلام أن تقوم بواجبها تجاه أبنائهم وبناتها وأحفادها، بداية من صلاح الآباء والأجداد، فصلاح الآباء يفيد الأبناء وصلاح الأجداد يرفع الأحفاد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَأَفَرَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة الروم: 30]"².

وأمام اهتمام الآباء بأبنائهم وبناتهم ومتابعة شؤونهم، يمثلون بذلك التي يتحصنون بها من الانجرار وراء الكبائر من الشهوات، والرذائل، والانحراف العقدي والإلحاد، فيكونوا المرجعية الأولى لهم في أي فكرة دخيلة

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص732.

² البخاري، صحيح البخاري، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، كتاب الجنائز، حديث رقم 1359، ج2، ص95.

على عقولهم أو أي تغيير يطرأ على سلوكهم، لذا فإن في تفعيل دور الأسرة في متابعة الأبناء الفوائد العظيمة، ومنها:

1. حفاظ الآباء على المسلمات من العقيدة والأخلاق والسلوك وعدم الانجرار وراء ما يزعزع ذلك، ودخول الآباء مع الأبناء بجوار هادف هادئ، فينصحونهم ويصنعون في عقولهم حصانة شاملة من كل شر.
2. إغاثة الأبناء بالتخلص من أسباب الغيرة والحسد والحقد تجاه بعضهم البعض، حتى لا يقعوا بمرض الإفساد والقتل وتشريد الآخرين، أو مرض قطع صلة الأرحام، وتربية الأبناء على حسن التعامل مع الأقارب والأصدقاء.

3. اختيار الصاحب الصالح، وابتعادهم عن صاحب السوء لأن الصاحب صاحب، ولقوله تعالى: ﴿الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف: 67]، فالآباء صمام الأمان أمام اختيار الأبناء لأصدقائهم، حتى لا يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

4. مد يد العون للأبناء في حال وقوعهم في براثن شياطين الإنس والجن، وعدم تخلي الآباء عنهم، وتوضيح العلاج الناجع لذلك.

القاعدة السابعة: التحذير من أصحاب السوء وحماية مجتمعنا من الأفكار الدخيلة.

ليس موضوع هذه القاعدة الحديث عن الأصدقاء وطريقة اختيارهم، إنما هدفها تذكير المربين من الآباء والأمهات وأساتذة المدارس والمعاهد والجامعات وخطباء المساجد، والناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي بضرورة كشف ضرر أصدقاء السوء، وأصحاب الرذائل والشهوات والأفكار الدخيلة على الأمة الإسلامية سيما والتي توجه نحو الشباب في سن المراهقة وطلاب الجامعات، من خلال طرق كثيرة أهمها وسائل التواصل والاتصال الحديثة.

ويظهر خطر أصحاب السوء من خلال الواقع، فمن خلال سؤال الشباب عن أكثر ما يؤثر في أفكارهم وسلوكهم سلباً، تكن الصحبة السيئة من أوائل القضايا، لذا وجب علينا حماية الشباب وبالتالي حماية مجتمعاتنا الإسلامية من الأفكار الدخيلة كالإلحاد والشذوذ وغيرهما من خلال أصدقاء السوء.

فمن الناحية الدينية فإن صحبة أصدقاء السوء قائمة على المصلحة والمادية والبعد عن الله تعالى والمجاهرة بالمعاصي، وغير ذلك، لذا أعدّ الله لهم عذاب جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف: 67]، فهم وإن كانوا في الدنيا سنداً لبعضهم البعض هم في الآخرة أعداء، قال البغوي: "الأخلاء، عَلَى الْمُغْصِيَةِ فِي الدُّنْيَا، يَوْمَئِذٍ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، إِلَّا الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".¹

ومن مشاهد يوم القيامة التي في نار جهنم تخاصم أهل النار ومنهم أصحاب السوء، ومن اجتمعوا على محاربة العقيدة والشريعة، ومن حاربوا رسل الله ودعاة التوحيد، هي صورة منفرة لكل من يعتقد أن الخير معقود في نواصي الأشرار! كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [٥٩] قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ [٦٠] قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ [٦١] وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ [٦٢] اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ [٦٣] إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ [٦٤] [سورة ص: 59-64]، وموضع الشاهد في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ [سورة ص: 60]، قال البغوي: "يَقُولُ الْاِتِّبَاعُ لِلْقَادَةِ: أَنْتُمْ بَدَأْتُمْ بِالْكَفْرِ قَبْلَنَا وَشَرَعْتُمْ وَسَنَنْتُمُوهُ لَنَا، وَقِيلَ: أَنْتُمْ قَدَّمْتُمْ هَذَا الْعَذَابَ لَنَا بِدُعَائِكُمْ إِيَّانَا إِلَى الْكُفْرِ، فَيَنْسَ الْقَرَارُ، أَيِ فَيَنْسَ دَارَ الْقَرَارِ جَهَنَّمَ".²

¹ البغوي، تفسير البغوي، ج4، ص164.

² البغوي، تفسير البغوي، ج4، ص57.

ومن يتبجح بأن صحبته مع الأشرار وأصحاب الإلحاد لا تؤثر عليه فهو إما جاهل في قانون التأثير والتأثير وإما كونه يكابر، لذا قيل في المثل: صاحب صاحب، لأن النفس بطبيعتها تألف وتتأثر بما يغذي شهواتها.

وشتان بين صحبة الأخيار من الأنبياء والصديقين والشهداء والأبرار كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَصُورُوهَ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 40]، وبين صحبة الأشرار وأصحاب الرذائل والمخدرات والشهوات كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٧٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان: 27-29].

القاعدة الثامنة: وجوب صناعة القدوات الصالحين لأن الواقع لا يقبل الفراغ

اعتنى القرآن بموضوع القدوة سواء من حيث التنظير أم من حيث التطبيق، والموضوع بحاجة إلى دراسة مستفيضة لما للقدوة من أثر في صياغة أفراد المجتمع ممن يعدونه قدوتهم ومرجعيتهم الدينية أو الفكرية أو الثقافية أو الاجتماعية... فالإنسان بطبعه يؤثر ويتأثر، والقصاص القرآني على وجه الخصوص مليء جداً بالقدوات، حتى أن آية من كتاب الله نلتوها كل يوم سبع عشرة مرة ندعو الله تعالى أن يهدينا صراط الذين أنعم الله عليهم، في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة: 6-7].

وأما صناعة القدوات فهو واجب على أصحاب القرار في كل المؤسسات المجتمعية، لما لمكانتهم من أهمية في المجتمع، ولتأثيرهم من دور في الحفاظ على عقيدة المجتمع وأخلاقه وارتقائه، فموسى عليه السلام صنعه

الله على عينه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُضَمِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [سورة طه: 39]، فأى صناعة هي لموسى عليه السلام، وأي سمو هو ما دام أنه آتاه الله رشدَه وهي في عناية الله ورعايته، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 124]، قال السعدي: "فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلا أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾" [سورة الأنعام: 124] فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده"¹.

لذا فإن صناعة القدوات له أثر كبير في حماية المجتمع من الوقوع فيما وقعت به بنو إسرائيل من أمراض سلوكية عقدية وأخلاقية واجتماعية وسياسية، وأصحاب القدوة الصالحين أتى لهم أن ينحرفوا أو ينحرفوا عن مبادئهم التي صنَعوا عليها، ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم قدوتنا في كل شيء، حتى في جانب العبادات، فعن أبي هريرة، قال: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: كيف ذاك؟ قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال"².

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "...وصلوا كما رأيتموني أصلي"³.

¹ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، ط1، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000م، ص: 272.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات -باب الدعاء بعد الصلاة (6329)، ج8، ص72.

³ البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص128.

لذلك من أهم آثار صناعة القدوة صحة المصدر وسلامة الأخذ وضمنان التطبيق، وفي ذلك يمكن أن يكون القدوة صمام أمان في وجه المغريات والشهوات وألسن الإلحاد.

لذلك مدح الله تعالى أهم صفة من صفات القدوة كونهم مصلحون، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: 170]، وما بين يمسكون.. ووصفهم بالمصلحين صلة بينها سيد قطب بقوله: "والتمسك بالكتاب في جد وقوة وصرامة؛ وإقامة الصلاة -أي شعائر العبادة- هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة.. والتمسك بالكتاب في هذه العبارة مقرونا إلى الشعائر يعني مدلولاً معيناً. إذ يعني تحكيم هذا الكتاب في حياة الناس لإصلاح هذه الحياة، مع إقامة شعائر العبادة لإصلاح قلوب الناس. فهما طرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس، ولا تصلح بسواه.. والإشارة إلى الإصلاح في الآية ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يشير إلى هذه الحقيقة.. حقيقة أن الاستمسك الجاد بالكتاب عملاً، وإقامة الشعائر عبادة هما أداة الإصلاح الذي لا يضيع الله أجره على المصلحين"¹.

هكذا هم القدوات يربطون الأمة بكتاب الله ويجعلونهم يستمسكون بتعاليمه ومنهجه وتصورات، وفق أسس محددة ثابتة، لذا وصفهم الله بالمصلحين.

¹ قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1388.

المبحث الثاني: تفعيل سنن الله في التعامل مع الإنسان من حيث الوجود، قاعدة للوقاية من الأسباب الدنيوية لأمراض بني إسرائيل السلوكية

بعد تتبع الأمراض الدنيوية التي تلبس بها بنو إسرائيل والتحقق من السبب الرئيسي لها، وُجد أنه متمثل بالحرص على الحياة وحب البقاء، وحب المادية خاصة عشق المال، وهناك من القواعد الدينية السابقة التي تعالج جوانب كثيرة من هذين السببين، لكن تبقى الأسباب قاعدة مهمة تنطبق على المسلم وغير المسلم، كونها غير متعلقة بعقيدة معينة، لكن الإنسان يعيشها ويلاحظها كل يوم، وهي مرتبطة بسنن الله تعالى في الكون والإنسان، لذا فالقاعدة هي:

عنوان القاعدة: تفعيل سنن الله في التعامل مع الكون والإنسان من حيث الوجود

حتى تحفظ حفظ الأمة الإسلامية من تتبعها أمراض بني إسرائيل ولو مصلحة، يجب على المربين والدعاة والمصلحين، والآباء والأمهات، أن يفعلوا خطاب تعامل الله مع الإنسان بأنه غير مخلّد في الدنيا، وهي سنة الله المادية الظاهرة في كل المجتمعات، فالموت يزور العالم بأسره كل يوم، حتى أنّ من علامات يوم القيامة كثرة الهرج وهو القتل.

وكثيراً من نص القرآن الكريم على سنة الموت وعدم الخلود في الدنيا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [سورة الرحمن: 26-27]، وفي ظلالها يقول سيد قطب: "والآن ينتهي هذا الاستعراض في صفحة الكون المنظور، وتطوى صفحة الخلق الفاني، وتتوارى أشباح الخلائق جميعاً، ويفرغ المجال من كل حي، ويتجلى وجه الكريم الباقي، متقرباً بالبقاء، متقرباً بالجلال؛ وتستقر في الحس حقيقة البقاء، وهو يشهد ضلال الفناء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [سورة الرحمن: 26-27]، وفي ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس، وتخضع الأصوات، وتسكن الجوارح... وظل الفناء يشمل كل حي، ويطوي كل حركة، ويغمر آفاق السماوات والأرض¹.

فالحرص على البقاء في الدنيا والخوف من الموت هو بحد ذاته مرض أصيب به بنو إسرائيل، وقد وبخهم القرآن الكريم بذلك حين قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ [سورة البقرة: 96]، ومن أهم أسباب المغذية لهذا المرض حب المادة سيما المال، فالمال هو الدرجة الأولى الذي يغذي حب البقاء، ألا ترى أن الفقير أقل حبا للوجود من الغني، وحب المال ليس دائما مذموماً، بل هو فطري في الإنسان وهذا لا يحاسب عليه أما حب المال الذي يطغى صاحبه بسببه ويظلم ويقتل ويسرق فهو الحب المذموم².

وما يعالج هذين المرضين، أو بالأحرى حب البقاء وعدم مغادرة الدنيا، هو الخطاب الصريح الواضح بسنن الله تعالى في وجود الإنسان على الأرض، ومثل ذلك سيؤدي قطعاً إلى قطع سبل وقوع المسلمين في حبال أمراض بني إسرائيل الدنيوية، لذا نجد تعقيب الله على قصص أصحابها حاربوا أنبياء الله ورسله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: 137].

لذا قد يلجأ البعض إلى الاختباء أو الاحتماء بما يدفع عنه الموت، ولكن مثل هذا لا يجدي لأن سنة الله مطردة على كل الوجود لا يقف أمامها أحد، ولا تستطيع منعها قوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: 78]، وفي ظلال ذلك

¹ قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3454.

² انظر: ابن تيمية، مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج10، ص189.

قال القرطبي: "فَعَرَفَهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ الْأَجَالَ مَتَى انْقَضَتْ فَلَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ الْجَسَدِ، كَانَ ذَلِكَ بِقَتْلِ أَوْ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَجَرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِرُهْوقِهَا بِهِ"¹.

فيقف الإنسان أمام هذه السنة مستسلماً لأمر الله مستعداً للقاء الله، مؤمناً بأن الآخرة حق، والجنة حق والنار حق، وأن الحياة ما هي إلا مرحلة وسينتقل الإنسان إلى مرحلة أخرى بعد البعث والنشور، فتسمو سلوكه، وتعلو هممه نحو تحصيل رضى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفجر: 27-30].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفجر: 27] "لَمَّا ذَكَرَ حَال مَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ الدُّنْيَا فَاتَّهَمَ اللَّهُ فِي إِغْنَائِهِ، وَإِفْقَارِهِ، ذَكَرَ حَال مَنْ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَسَلَّمَ لِأَمْرِهِ، وَاتَّكَلَّ عَلَيْهِ"².

¹ القرطبي، تفسير القرطبي، ج5، ص283.

² القرطبي، تفسير القرطبي، ج20، ص57.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولاً: أهم النتائج

1. يأتي ذكر الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل في سورة البقرة في سياق ومحورها وهو الاستخلاف، أن بني إسرائيل من الأمم التي أُعطيت مفاتيح الاستخلاف لكنهم فشلوا في ذلك، فخالفوا أوامر الله وجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً.
2. بنو إسرائيل هم بنو يعقوب عليه السلام وقد مروا بفترات تاريخية تراوحت بين عزة وعلو وبين خزي وذل، مع أن الله تعالى اختارهم من بين الأمم وفضلهم على عالمي زمانهم، فمنهم من شكر ومنهم من كفر.
3. الأمراض التي تلبس بها بنو إسرائيل في ظلال سورة البقرة نوعان: دينية ودنيوية، فمن الأمراض الدينية: الكفر والشرك، وقتل الأنبياء، والتفريق بينهم، وتحريف التوراة، ونقض العهد، وتلبس الحق بالباطل، والنفاق، والظلم، والجدال، وأكل الربا، والعنصرية، وسفك الدماء، والكذب.
- ومن الأمراض الدنيوية: قساوة قلوبهم واتباعهم الهوى، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحب السيادة والمال والعلو والاستكبار والغرور، وسيطرة الحية المادية عليهم.
4. استحق بنو إسرائيل عقوبات من الله تعالى في الدنيا والآخرة، بسبب أفعالهم، فمن العقوبات التي استحقوها في الدنيا مَسْخَهُمْ إلى قردة وخنازير، ومن العقوبات التي استحقوها في الآخرة لعنة الله عليهم وجعل مأواهم جهنم.
5. من سبل وقاية أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الوقوع في أمراض بني إسرائيل، تفعيل القواعد الآتية: تعزيز جانب الإيمان بالله، والعمل بمقتضاه، وتفعيل منظومة الأخلاق الإسلامية وبيان دورها في مجاهدة النفس، وتفعيل الخطاب العقلي الناقد للسلوك الخاطئ تجاه المجتمع المسلم، وبتش الوعي بمآلات تلبس الأمراض السلوكية التي تلبسها بنو إسرائيل، ومقاطعة من يعملون على نشر الرذيلة والعنف واستحلال

حرمات المسلم، وتفعيل الدور الأسري سيما الوالدين في وأد منابت الانحراف السلوكي، وجوب صناعة القدوات الصالحين لأن الواقع لا يقبل الفراغ، والتحذير من أصحاب السوء وحماية مجتمعنا من الأفكار الدخيلة.

ثانياً: أهم التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

1. إجراء المزيد من الدراسات ذات الصلة بالموضوع، كالأعراض السلوكية التي وقع بها بنو إسرائيل في التوراة.

2. القيام بدراسة أثر غياب عقيدتي التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر على سلوك بني إسرائيل.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد الزاوي، المكتبة العلمية-بيروت، 1979م.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق صفوان عدنان الداودي، الناشر دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، ط1، دار الكتب العلمية -بيروت، 1415هـ.
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =صحيح البخاري، المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ط4، دار طيبة، 1997م.
تكتوك، آمنه عبد الله، طبائع اليهود من خلال القرآن الكريم والتوراة دراسة وصفية مقارنة، رسالة ماجستير، 2013م، جامعة أم درمان الإسلامية.

ابن تيمية، تقي الدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده ابنه محمد وفقه الله، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف -المدينة المنورة -السعودية، 1426هـ.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى 816هـ)، كتاب التعريفات، المحقق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.

الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن للجصاص، ط1، دار الكتب العلمية. المحقق عبد السلام محمد علي شاهين.

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تلبيس إبليس، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1421هـ.

الجنابي، فليحة سعود حمود ظاهر، صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم دراسة لغوية، رسالة ماجستير، 2005م، جامعة بغداد.

الحازمي، ماجد بن عبد الله، الهدايات التربوية من آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة التوبة وأهميتها في تعزيز الأمن الفكري، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع173، ج2، 2017م.

حموش، مأمون، التفسير المأمون على التنزيل الصحيح والمسنون، ط1، جهة النشر المرلف، 2007م. حميدة، طارق مصطفى محمد، التناسب في سورة البقرة "رسالة ماجستير"، جامعة القدس-فلسطين، 2007م.

ابن حنبل، أحمد، المسند، ط1، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001م.

حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام - القاهرة، 1424هـ.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير، الناشر دار القلم دمشق 2013م، ط2.

الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر - القاهرة.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت 255هـ)، سنن الدارمي، المحقق حسن الداراني، الناشر دار المغني
-المملكة العربية السعودية.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب
(ت 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ.

رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

أبو راس، هود محمد منصور قُباص، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، رسالة دكتوراه،
قسم القرآن والحديث -أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا -كوالالمبور -ماليزيا، 1431هـ.

زبادي، توفيق بن علي، علاج القرآن الكريم لسفك الدماء المعصومة دراسة موضوعية، المؤتمر الدولي
القرآني الأول توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة -جامعة الملك خالد، م2،
2016م.

الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ط1، دار الفكر -دمشق، 1991م.

الزغبى، أحمد بن عبد الله، العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان
-الرياض، (1418هـ / 1998م).

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3،
دار الريان للتراث -القاهرة، 1987م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

الزومي، حسين بن علي عمر، محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة دراسة في مقاصد السور، 2015م،
مجلة جامعة المدينة العالمية | المحكمة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، ط1، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000م.

أبو السعود، تفسير أبي السعود-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

السلطاني، حوراء، تعديل السلوك الإنساني، تاريخ النشر 2016/02/25م، الرابط UOBabylon Repository تعديل السلوك الإنساني، تاريخ العودة إلى الرابط 2023/08/03م.

سليم، محمد أمين، بنو إسرائيل في ضوء الإسلام، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة السابعة -العدد الثالث -محرم 1395هـ -يناير 1975.

السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، 1993م.

سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، 1980، دار الشروق.

شرف الدين، جعفر، الموسوعة القرآنية -خصائص السور، ط1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، 1420هـ.

الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط1، دار الكلم الطيب -دمشق، 1414هـ.

صوفي، عبد القادر عطا، المفيد في مهمات التوحيد، ط1، دار الإعلام، 1422-1423هـ.

أبو طالب، نصر الله، اندحار من بعد اصطفاء -بنو إسرائيل بفلسطين أحداث وعبر، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع -المنصورة، 2005م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.

الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح معاني الآثار، ط1، عالم الكتب، 1994م.

الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ط1، دار نهضة مصر، 1997-1998م.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ) التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 1384هـ.

العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر -الرياض، 1426هـ.

أبو عزة، رينا، الخرائط العقلية ودورها في حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، 2022م.

عشا، آلاء محمد عصام مصباح، الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، 2007م، الجامعة الأردنية.

علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام النظريات والمبادئ العامة -اشخاص القانون الدولي النطاق الدولي -العلاقات الدولية الحرب والحياد، الاسكندرية (مصر) منشأة المعارف 2000.

العلمي، مجير الدين بن محمد (ت 927هـ) فتح الرحمن في تفسير القرآن، المحقق نور الدين طالب، ط1، دار النوادر، 2009م.

العوفي، ليلى بنت حميد بن محمد. (2021). الخطاب العقلي في السنة النبوية، مجلة جامعة الجوف للعلوم الإنسانية.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -بيروت، 1419هـ.

المرضي، فاطمة المدثر عبد الرحمن، الشخصية اليهودية في القرآن الكريم -دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، 2001م، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي -بيروت.

مصطفى، إبراهيم وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر دار الدعوة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى 711هـ)، لسان العرب، الناشر دار صادر -بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

النسفي، عمر بن محمد (ت 537هـ) التيسير في التفسير، المحقق ماهر أديب حبوش، ط1، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث -إسطنبول، 2019م.



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**BEHAVIORAL DISEASES OF THE CHILDREN OF
ISRAEL AND METHODS OF PREVENTION IN
LIGHT OF SURAH AL-BAQARAH:
AN OBJECTIVE STUDY**

By

Dirar (Mohammed Taysir) Hussein Musa

Supervisors

Dr. Mohammad Ragheb Al-Jitan

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), Faculty of Graduate Studies, An-
Najah National University, Nablus- Palestine.**

2023

BEHAVIORAL DISEASES OF THE CHILDREN OF ISRAEL AND METHODS OF PREVENTION IN LIGHT OF SURAH AL- BAQARAH: AN OBJECTIVE STUDY

By
Dirar (Mohammed Taysir) Hussein Musa
Supervisor
Dr. Mohammad Ragheb Al-Jitan

Abstract

This study aims to examine the behavioral diseases of the Children of Israel and the reasons behind their occurrence in the light of Surah Al-Baqarah. It also highlights how the Islamic Ummah can protect itself from falling into these diseases or following the path of the Children of Israel. The study uses an inductive and analytical approach within the framework of Surah Al-Baqarah, occasionally referencing other chapters for practical application or interpretation. As a result, the study identifies thirteen diseases afflicting the Children of Israel and nine underlying causes. It is divided into three chapters: an introduction to the study's concepts, an exploration of the religious and worldly diseases affecting the Children of Israel, their causes, and consequences, and a presentation of the methods to safeguard the nation of Muhammad (peace be upon him) from succumbing to the behavioral diseases of the Children of Israel.

Among the study's most important findings are: the identification of thirteen diseases affecting the Children of Israel through Surah Al-Baqarah, which include disbelief, polytheism, killing the prophets, division among them, distortion of the Torah, breaking covenants, mixing truth with falsehood, hypocrisy, injustice, dispute, usury, racism, and bloodshed. The study reveals that the causes leading them to these diseases include cold-heartedness and obeying their desires, the promotion of virtue and prevention of vice, love of power, wealth, pride, arrogance, and materialistic dominance.

Consequently, the Children of Israel deserved worldly punishments such as being transformed into apes and swine, being struck by lightning, humiliation, and degradation. In the hereafter, their punishment consists of curses, expulsion from Allah's mercy, and the Hellfire.

Keywords: Children of Israel, diseases, behavioral, racism, bloodshed.